المشرق

الطائر الخفّاق على اطلال العراق

لحضرة الابُ العالم اللغويّ المتفنن انستاس الكرملي البغدادي

ان العراق هو من الاصقاع التي كثرت فيها الآثار القديمة. والابنية الجسيمة الفخيمة. والاطلال الدارسة. والأنقاض الناطقة بالهياكل الطامسة. الى غير ذلك من الدفائن والنفائس. ما يزري بالخرائد والعرائس. ومن العجب العُجاب. اننا نرى الأغراب. يمتطون متن العُباب. او رِحال الركاب. مُعانين الاتعاب والاوصاب. ليقفوا على ما في بلادنا من العاديّات والانصاب. او يكتبوا عنها ما يُفيدون به اولي الألباب. ولا نرى من ابناء الناطقين بالإعراب. من كتب شيئًا في هذا الباب. ما يقصع اللُّهاب. او يدفع بعض العذاب. بل رأينا من الكُتّاب. من تصدّى لتعريب شيء من مؤلفات الأجناب. غير انهم اتوا في ما نقلوهُ من التصحيف ألعاب. ما جاوز أطوار الصواب. فضاعت الفائدة من الكتاب. لا بل أتوا من الضرر ما لا يقع تحت حساب. لانهم وضعوا دعائم قد أكلتها قوادح الوهم والاختلال. لصَرح. لا يقوم الّا على قوائم حشوُها الصدق في النقل والمقال. فلهذا احببنا ان نورد شيئًا من هذا القبيل. من تعريب او تحصيل. يكون بمنزلة تعلّة للجائع العليل. او جُرعة للناهل الغليل. ريثما يتصدّى لهذا الامر الجليل. من يُمهد لهُ سواء السبيل. فيزيل الكروب عن القلوب. ولا يبقي حاجةً في نفس يعقوب

١ عقرقوف ('Agar-Gouf *ou* 'Akar-Kouf)

من الأخربة المشهورة في نواحي بغداد عقرقوف بعين في الاوَّل وقاف قبل الراء ثمَّ قاف ثانية قبل الواو وفاء في الآخر. واوَّل كتاب عربي « حديث » عثرت فيهِ على ذكر عقرقوف هو كتاب دائرة المعارف للبستاني ذكر فيهِ صاحبهُ اسم هذا التلّ مصحّفًا

بالوجه الآتي: « اكركوف » وهو لفظ اخذهُ عن كتب الافرنج لم يعرفهُ لا العرب الاقدمون ولا العرب الحاليون. وليس هذا الكتاب بيدي اليوم لأراجع ما قالهُ صاحبهُ في هذه المادة. وقد رأيت ذلك قبل ١٧ سنة (١ ولا اظنّ انني متوهّم بقولي هذا. امّا الكتاب الثاني الذي وقع بيدي ورأيتُ فيهِ ذكر الهيكل فهو كتاب تاريخ بابل وأشور تأليف جميل افندي المدوّر وقد وقف عليهِ وصحّحهُ الشيخ ابرهيم اليازجي. وكنتُ سابقًا قد طالعتهُ تباعًا في المقتطف. امّا اليوم فقد طُبع حديثًا سنة ١٨٩٢ بمطبعة الفوائد وقد ذكر (ص ٦١) اسم عقرقوف كما ذكرهُ صاحب الدائرة. وهذا كلامهُ بنصّهِ الحرفيّ:

« والى شرقي بغداد (كذا. والاصح الى شمال غربي بغداد) على اربعة اميال منها وستة اميال من نهر الفرات على ميمنة الترعة السقلاويّة (كذا. والمشهور عندنا الصقلاويّة بصاد في الاول وهو المعروف عند مؤرخي العرب بنهر عيسى) اخربة قديمة العهد مبنيّة بالآجر (كذا. وليس هناك آجرّة واحدة وانما الاخربة مبنيّة باللَبِن والفرق بين الاثنين ان الآجرّ مشوي بالنار واللَبِن غير مشوي. وبناؤهُ من اللَبِن أدهش من بنائهِ بالآجرّ) على شكل هرَم (هذا راي غير المحققين وليس في ذلك البناء ما يُذكّر هيئة الهرم) يُسمّيها الناس ببرج نمرود وبعضهم ببرج بابل (كذا. وهو الكلام الذي يقولهُ بعض الافرنج وليس في ذلك ظلُّ صحّة. وانما يسميهِ الناس عقرقوف من عهد الخلفاء الى يومنا هذا) وهي غير البرجين المتقدم ذكرهما. وكان اسمها الاول اكركوف (كذا) على ما اثبتهُ نيبوهر السائح الدنمركي (قلنا ولو راجع نيبوهر لرأى انهُ قد كتب الاسم باحرف عربية كما كتبناهُ نحن). وآجرّها (كذا. وقد رأيت خطأ هذا القول) مربّع يبلغ ثخن الواحدة منهُ ثلاث اصابع وطولها ثلاث عشرة اصبعًا في عرض مثلها. وهي مرصوصة بالسياع (كذا. وليس هناك شيء من السياع) وبين كلّ سبعة سيفان (لم نسمع ان سافًا يجمع على سيفان. فان الكاتب توهّم فيها وزن ساق وطاق اللذين يجمعان على سيقان وطيقان فجمعها جمعهما. وهو غير مسموع في هذا الحرف. والمشهور سافات وآسُف. راجع التاج) من الآجرّ (?) عَرَق من الخيزران (كذا. وليس هناك شظيّة من الخيزران. فاملّهُ ترجم jonc. فاذا كان كذلك فانّ لهذه اللفظة الفرنسية معنيين الاول الخيزران والثاني الاسَل وهو الموجود في هذا البناء) او الأباء ليسك البناء ان يتصدع (يريد ان يقول: « عن ان يتصدّع ») على ممرّ الازمان. وفي اعالي هذه الاخربة ثقوب كثيرة تمتدّ امتدادًا افقيًا وبعضها تذهب عموديًا ... الخ » اه

ولعلّ اسم هذا البناء ورد في كتب أُخرى عربيّة غير انني لم اتوفّق الى العثور عليها. امّا العرب الاقدمون فقد ذكروا هذا البناء ولم يصفوهُ وصفًا مدقّقًا. قال صاحب

---

١) راجعنا هذا الفصل في دائرة المعارف (٤: ١١٧) فاذا اوّلهُ لا يختلف عمّا ورد في تاريخ بابل واشور. والباقي مأخوذ عن الرحّالة جِسْني. وما لم نجدهُ في غير الدائرة قولهُ: « قال آخرون انّها (يريد عقرقوف) موقع مدينة ستّكي القديمة التي ذكرها زينوفون اليونانيّ » (المشرق)

مراصد الاطلاع: عقرقوف وهو «عقر» أضيف الى «قُوف» فصار مركَّبًا قال: «وهي قرية من نواحي دُجيل وليس كذلك. بل من نواحي نهر عيسى (الصقلاوية) بينها وبين بغداد اربعة فراسخ الى جانبها تلٌّ عظيمٌ عالٍ يُرى من خمسة فراسخ واكثر. وفي وسطهِ بناء باللَّبِن والقصب كأنَّهُ قد كان أعلى ممَّا هو فاستهدم بالمطر فصار ما تهدَّم منهُ حولهُ تلًّا عاليًا». اه بحرفه. وقال صاحب فتوح البلدان: «وقال بعضهم حين لقوا خُرَّزاد:

وآلَ منَّا الفارسيُّ الحُذَرَهْ حين لقيناهُ دُوَينَ المنظرَهْ (١
بكُلِّ قبَّاءِ لَحوقٍ مضمَرَهْ بمثلها يُجزم جمعُ الكَفَرَهْ

يعني بالمنظرة تلّ عقرقوف» اه

وبيدي شواهد اخرى على ذكر عقرقوف غير انها كلها لا تزيدنا علمًا بخصوص وصف التلّ. ولهذا احببنا ان نورد هنا ما جاء من وصفهِ كتب الافرنج وما هي آراؤهم فيهِ. هذا وقد أصبحت هذه المؤلفات في يومنا هذا اعزَّ من الغراب الاعصم. فنقول: اول من ذكر عقرقوف سيزار فيديريكو (César Fédérigo) سنة ١٥٦٣ ثم ذكرها رَوُولف (Rauwolff) وغيرهما من المسافرين باسم «برج نمرود» ولم يصفهُ وصفًا شافيًا الّا نيابُهر (Niebuhr) السائح المشهور قال: Aguerkuf عقرقوف (كذا كتبها بالافرنجية واردفها بالكتابة العربيَّة) هو على بعد فرسخين ونصف فرسخ من غربي بغداد وهو برج يُشبه كل الشبه برج الحلَّة الذي تكلّمت عنهُ (ص ٢٣٦) لكنَّهُ ليس مبنيًا بالآجرّ بل باللَّبِن وبعد كل ستة آنُف او ثمانية طبقةٌ من الأسَل ثخنها قيراطان. وفي هذا البناء او في هذا التلّ المسوَّر خروق صغيرة كانت تمتدّ امتدادًا افقيًا على كلّ الحائط «على ما يظهر لي». اماَّ الآن فقد سُدَّ أغلبها. وسمك البناء يبلغ ٧٠ قدمًا. والجهة الشماليَّة تكاد تكون عموديَّة. وكان لها ما يُشبه ان يكون بابًا ولكنَّهُ عالٍ جدًا لا يُبلغ اليهِ بدون مرقاة. اما الجوانب الاخرى فقد احرقت الشمس مادَّتها وزعزعت قواها وذرَّت الرياح شيئًا كثيرًا منها. ويُرى ان الأسل قد مسك البناء عن التداعي في مواطن شتَّى ولهذا فانَّك تراهُ قد برز عنهُ في تلك المواضع وهو دليل على انهُ أبقى من اللَّبِن. وقد ظنَّت جماعة من السيَّاح انهُ برج بابل القديم. وليس من الحقيقة بشيء لان

---

١) قُلتُ: الحُذَرة بضم الاول وفتح الثاني الكثير الحذر وهو من المستدركات على اصحاب المعاجم. وفي نسخة الحَذُرة وهو غلَط. المنظرة هناك المكان العالي يعد الربيئة بَصرهُ منهُ لاستطلاع طِلع العدوّ القادم. مثلهُ المِربأ والمَربأة والمُربَّأ والمَرقَبة

برج بابل كان بجوار الفُرات وعقرقوف لا يبعد كثيرًا عن دجلة. هذا ويصعب اليوم تعيين الغاية التي أُقيم لها هذا البناء. فلعلَّهُ كان مُصطاف احد خلفاء بغداد الاوّلين او احد ملوك الفرس الذين كانوا يقيمون في المدائن وذلك لاستنشاق الهواء البارد في اعلاهُ. وفي جوار عقرقوف تلول أُخرى كثيرة يُرى فيها آثار بيوت اي قطع من الطاباق ممّا يدلّ على انها بقايا منازل قد أُقيمت في البساتين او بقايا مدينة صغيرة كانت هناك او موضع بغداد القديم ».اه تعريبًا

وعلى رأي الكولونل جِسْني ان أخربة أكّد وهي المدينة الثالثة من مُدُن نمرود لا تبعد كثيرًا عن عقرقوف وكانت هذه لتلك بمنزلة قلعة او حصنٍ حصين لها. وقد ذكر جِسني التفاصيل الآتية وهي تتفق كل الاتفاق مع التفاصيل التي اوردها نابِيهر قال: « انَّ لطاباق عقرقوف ١١ قيراطًا ورُبعًا مربّعًا في اربعة قراريط ثخنًا وقد نُضِدت تنضيدًا منتظمًا وهي مرصوصة بصلصال رديء. او قُلْ بطين (ولا تقـل بسياع) ومن مميّزات هذا البناء إدخال أطنـان من القصب من الجهة الواحدة الى الجهة الاخرى وذلك على فُسَحٍ متقاربة من اسفل البرج الى اعلاهُ. والمألوف فيه ان تكون كل طبقة من القصب بعد سبعة مداميـك او آسُفٍ من اللَّبن (اي ما يساوي فسحة قياسها قدمان و ١١ قيراطًا) وهذا القصب مركّب من ثلاثة أنضاد موضوعة وضعًا يجعلها تتقاطع تقاطعًا متعاكس الوجهة. والاعلى منها يوازي النضد الاسفل وقد تتقاطع من النضد الاوسط تقاطعًا مُحدثًا بينهما زاوية قائمة. ولا مراء في ان هذه البنية كانت في الاصـل هرمًا (كذا) اما اليوم فلا شكل لها من الاشكال المنتظمة وعند اسفلها نَبيثة كثيرة تمتدّ الى بعد ١٥٧ قدمًا شمالًا وجنوبًا. وعـلوّ البرج ١٢٨ قدمًا. وعلى الجانب الشرقي ونحو منتصف البناء فتحةٌ يبين انها كانت مدخل مدفن. وفي مواطن شتّى من هذا الصرح وبالاخصّ في قمّتهِ ثقوب مربّعة شبيهة بالثقوب التي تُرى في الابنيـة العربية لتماسُك الاخشاب » (١

أمّا إيڤ فانهُ ذكر طول هذا الصرح ١٢٦ قدمًا و٣٠٠ قدم عند حضيضهِ حاسبًا بذلك النبيثة. وكِربورتر (Ker-Porter) وأَنسُورث (Ainsworth) ذكرا ان سمكهُ ١٢٥ قدمًا

(١ راجع Chesney : *Expedit. to the Euphrat.* 1850. Vol. II, p. 606

ويظنّ إيڤ الذي زار هذا البناء في نحو زمان نيابير (١٣ حزيران ١٧٥٨) انهُ برجٌ اقامهُ الكلدان الاقدمون لرصد الكواكب. ويذهب الى ان هذا البرج كان في باديء الامر مربّعًا. والاديب دوادج (Doidge) هو اوّل من رسم رسمهُ. ثم ان إيڤًا لا يذكر شيئًا من التفاصيل عن هذه الاخربة بل يقول ان قُطّان تلك النواحي يعتبرونهُ صرح نمرود او صرح بابل

امّا بوشان (١ فلم يرهُ سنة ١٧٨٤ الّا رؤيةً من يمرّ بهِ مرًا. وقد سمع انهُ يُسمّى كُرْكُوف (Gargouf). وزار هذه الأنقاض اوليڤيه بعد بضع سنين وكتب ما معرّبهُ:

«على اربعة فراسخ من غربي بغداد بناء قديم يعرفهُ النصارى باسم برج نمرود او برج بابل (كذا) ويسمّيه العرب عَقَرْكُوف (هكذا مكتوبة A-Yargouf) وهو أطمٌ مبنيٌّ بالطابَاق وقد كُشِط صَفْحان منهُ لتُعرَف الغاية التي أُقيم لها او ان يُبحث فيه عما أُودِعهُ من الكنوز على ما يتخيَّلهُ الاعراب في الابنية القديمة... والمادّة الطينيَّة المبني منها هذا الأطم ليس آجرًا بل لَبِنًا وسطح اللبنة منهُ المربَّع يبلغ ١٣ قيراطًا وثخنها يبلغ قيراطين ونصف قيراط وقد صُفَّت على صفحاتها شيئًا فوق شيء. وزُمّلت بالطين الذي لُبِن منهُ اللَّبِن وتبلغ مداميكها ثمانية او عشرة وهي عبارة عن طبقة ثخنها قدمان او قدمان ونصف قدم. وقد وُضع تحت هذا اللَّبِن اربعة او خمسة قراريط من حُثالة الجِصّ ثم طبقة ثخنها من قيراطين الى ثلاثة مُتَّخذة من نَضَد القصب المتقاطع ثم تبتدىء مداميك اللبِن فوق نضد القصب وحُثالة الجِصّ موضوعة دائمًا فوق اللَّبِن. وكل ذلك يتتابع على هذه الوتيرة الى قمّة البرج. وممّا استوقف ابصارنا واسترعى افكارنا ان أدْماص اللَّبِن ليست متساوية فمنها ما يكاد يكون ثخنهُ قدمين ومنها ما يقارب ثلاث اقدام وقد خُرِقت خروقًا مربَّعة على مسافات متقاربة بعضها من بعض تُشبه ان تكون خروقًا للأساقيل او السلالم ولعلّها ايضًا خُرقت لتسهيل تجفيف ذلك الصرح المُمرَّد اذ يُرى رؤية جليَّة ان تلك الخروق تتوغَّل في الداخل وان نَضَد القصب البارز اليوم عن اللَّبِن يُرى عن بُعدٍ وهو محفوظ احسن الحفظ وقد صبر على كوارث الزمان اكثر ممّا لو كان من الخشب البالغ النهاية من الصلابة والصلادة الّا انّهُ قد تضوَّح في المواطن المعرَّض للهواء واذا تمكَّن الرجل من استخراج شيء منهُ كما فعلنا هذا الفعل في حيطان

(١ راجع Beauchamps., Journal des Savants, *Mai* 1785, p. 859

تُطَيْبِيفُون يتحقق انهما من نَبتٍ واحد يكثر على ضفاف الرافدَين وفي مستنقعات البلادَين وهو نوع من جنس الثَيِّل والعرب يدعونهُ في كتبهم النَجْل (وباللاتينيَّة uniola bipennata Linn,) وهو يختلف بعض الاختلاف عن الغَيْقة (وباللاتينيَّة poa cynosuroïdes, de Retzius)

ومما يدفع الانسان الى ان يظنَّ ان هذا الأُطم لم يكن في سابق الزمن ارفع مما هو عليهِ الآن انهُ ينتهي بفراش ثخين من الطين يُظنُّ انهُ كان بمنزلة سطح لهُ. وربَّما كان هذا السطح نتيجة فعل الارياح والامطار عليهِ فهشَّمت رأسهُ وألقتهُ على الارض فتساوى معها بما ان صفحاتهِ التي لم تلمسها ايدي البشر وصلت اليها أنياب الدهر فاكلت بعضها. ولولا وجود القصباء فيها لاسترطها كلَّ الاسترط لكن حالت دون متسنَّاهُ فكانت لهُ بمنزلة الشجا او الغصَّة » (ستأتي البقيَّة)

الاسلحة النارية في الشرق

للاديب يوسف افندي غنام ثابت

انسنا في القرَّاء ارتياحاً الى مطالعة ما كتبناهُ في المشرق (٣:٥٧٧ و ٧٠٠) عن السيوف الشرقيَّة وجوهرها فجاء استحسانهم منشطاً لنا على مواصلة البحث عن صناعة بلادنا القديمة علَّنا نُحيي بذلك مآثر اجدادنا وننعش بين مواطنينا روح الصناعة بعد خمودهِ. وقد رأينا اليوم ان نبسط الكلام في الاسلحة الناريَّة نخصُّ منها بالذكر البنادق القديمة الشرقيَّة وما امتازت بهِ في الاعصار السابقة من الخواص الفريدة والمحاسن البديعة. وقد استندنا في ما رويناهُ الى ما افادنا اخونا سليمان المتضلع بصناعة الاسلحة وفنونها القديمة والحديثة

ليس من غرضنا ان نخوض هنا في مسألة تاريخ البندقيَّات واصل وضعها فانَّ دون ذلك عقباتٍ صعبة المرتقى. وغاية ما يمكن قولهُ انَّ البندقيَّة من لواحق البارود فلمَّا كان اكتشاف البارود قد سبق اليهِ الهنود والصينيون والعجم قبل الاوربيين بزمن مديد فلا غرو انهم وضعوا ايضاً البندقيَّات او ما يشبهها لقذف الموادّ المتفجرة. وعلى هذا المنوال يصحُّ القول بانَّ البندقيَّة سلاحٌ شرقي الاصل

امَّا العرب فلوقوع بلادهم في جوار الصين والهند وفارس واختلاطهم باهلها لاسيا بعد فتحهم لقسم كبير منها لا شبهة في كونهم عرفوا قبل الفرنج وجود البارود وخواص تركيبه الانفجاريَّة كما أنَّهم اخذوا عنهم البندقيَّات لرمي القذائف. امَّا اسم البندقيَّة فقد اشتقوهُ من «البندق» والبُندق عندهم ما يُرمى بهِ سواء كان من الطين او غيرهِ لشبهه بثمر البندق. وكانوا يدعون ايضًا هذه الرامي «جُلاهقًا». والبندق والجلاهق لفظتان فارسيَّتان يراد بهما الكرة الصغيرة. ومثلهما الجَلّوز واستعمالهُ في الثمرة اكثر

في انتشار صناعة الاسلحة وما امتاز بهِ في صنعها الشرقيُّون

ان صناعة الاسلحة قد انتشرت في اكثر الاصقاع الشرقيَّة كدمشق الشام والعجم والارنؤوط والجزائر ومصر فامتاز اهل دمشق بصنع الحديد الجهر فنالوا بهِ ما لم ينَلْهُ سواهم من بُعد الشهرة وانتشار الصيت. وقد برعوا بزخرفة اخشاب البنادق ونقشها وتنزيلها وتوشية طواقها الفولاذية والحديديَّة بالاسلاك المعدنيَّة المختلفة بطريقتي الحفر والتنزيل والتسنين والرصّ. هذا ولم يكتفوا بذلك بل كثيرًا ما كانوا يقلّدون صنائع جميع البلدان واتقن مصنوعات الثغور الشرقيَّة وهذه السجيَّة لم تزل فيهم لعهدنا هذا وذلك لعظم حذاقتهم في الفنون الصناعية وحرصهم على كسب المال. غير انَّ هذه الصناعة لم تبقَ عندهم حيَّة ولم ترزق العمر الطويل كما رُزقت في بلاد العجم الذين لا يزالون يحكمون صُنعها لهذا العهد وهم في اتقانها يضاهون اهل دمشق بل يفوقونهم بجودة العمل في بعض من فنون هذه الصناعة وذلك بعمل الزِّناد الفارسيَّة المشهورة بهم والنقوش البديعة والزخارف الانيقة المعروفة بالقلم الفارسي الذي يأخذ بالابصار ويفتن البصائر لما يحويهِ من الفنون الهندسيَّة والتماثيل البديعة والآطار والآرمات (الأشعرة والطُّرر) والرسوم الجميلة المختلفة

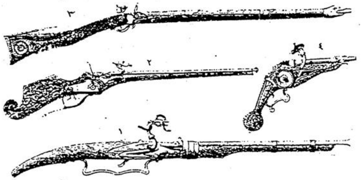
امَّا من جهة صُنع الجهر فان العجم بلغوا مبلغًا ساميًا لم يلحق فيهِ الدمشقيُّون غبارهم. الَّا انَّ العجم اكثروا من صنع اشكالهِ الرخيصة لازدحام القوم عليها. امَّا الارنؤوط فطبقتهم دون طبقة العجم والدمشقيين فانَّهم لم يبلغوا شأو هؤلاء مع كثرة ما اصطنعوا من الجهر وحذقهم في تخريجهِ. وممَّا اشتهر بهِ الارنؤوط اجهزة (طقومة) الاسلحة يصنعونها من المعادن لاسيا الفضَّة ويلبسونها بالميناء الارنؤوطيَّة المشهورة ويتأنقون في زخرفتها ولهم نقوش بديعة ورسوم دقيقة تروق الابصار منها النقش

المعروف « بضرب البنت » دعوهُ بذلك لانهم يصوّرون على السلاح صورة فتاةٍ جميلة . وهو نقش غاية في الحسن

امّا اهــل الجزائر والمصريُّون فانهم اخذوا عمّن سبق ذكرهم ولم يُعرف لهم في ذلك اثرٌ خاصٌ بهم

في البندقية الشرقية وانواعها

لم تكنُ البندقيَّات الشرقيَّة القديمة تختلف عن بعضها اختلافًا يُذكر في طريقة حشوها واستعمالها عند الرمي وتجهيزها لاطلاق النار وكان صاحبهــا بعد ان يحشوها من فيها كبندقيَّات الكبسول يجعل في جرن الزند (القدَّاحة) قليلًا من البــارود ثمَّ يقلب عليــهِ المقلب (الغطاء) لئلا يتلفهُ الهواء او يبتلّ بالمطر في الشتاء ثمَّ يشعل فتيلًا من القطن لُتَّ بالشمع العسلي . وكان هذا الفتيل يُجعل بزند البندقيَّة . ثمَّ يأخذ البندقيَّة بين يديهِ ويُعدّها للرمي ثمَّ يفتح الجرن ويدني الفتيل منهُ فيلتهب البــارود وهكذا تنطلق البندقيَّة بعد اللتيَّا واللتي وربَّما ذهب التعب باطلًا فوجب تكرارهُ لعدم صدقهِ . وهذه اوَّل بندقيَّة شاعت في الشرق وهي المعروفة بابي فتيل (arquebuse à mèche)



١ بندقية ابي فتيــل ٢ بندقية بصوَّانة ارنؤوطية ٣ بندقية بصوَّانة شامية ٤ طبنجة بصوَّانة ارنؤوطية

ولمَّا رأى الشرقيون انَّ هذه البندقيَّة لا تفي بالغرض لم يزالوا يجهدون فكرتهم حتى اخترعوا الصوَّانة (arquebuse à pierre) واتخذوها بدلًا من الفتيل وزادوا على زناد البندقيَّة قوسًا وملقطًا (ديكًا) ألقطوهُ الصوَّانة وجعــلوا المقلب من الفولاذ حتى

اذا اطلقوا الديك على المقلب قدحت الصوَّانة نارًا وانطلقت البندقيَّة . وهذا الاختراع مع ما فيهِ من الفضل على بندقيَّة الفتيل من حيث السرعة وتسديد الضرب لم يخلُ من المشقَّة والعناء

وقد تفنن ارباب الاسلحة في زخرفة هذه البندقيَّة وصنعوا منها اشكالًا عديدة تختلف عيارًا فمنها صغيرة ومنها كبيرة ومنها متوسّطة في الكبر بل وضعوا منها غدّارات (فرودة) وطبنجات وقربينات (١ وظربطانات (٢ وشرخات وبنادق خزنة (٣

فهذه هي البندقيَّات التي اصطنعها الشرقيون وشاعت بينهم الى ان اخترع الاوربيون بنادق الكبسول ففازت طريقتهم بالقدح المعلَّى . وسوف نعود ان شاء الله الى ذكرها في مقالة اخرى

حديد البندقية الشرقيَّة

قد امتازت البندقيَّات الشرقيَّة على ما سواها بجودة حديدها . والحديد الشرقي يكون صلبًا قاسيًا قويًّا من الفولاذ لا يتسلَّط عليهِ الصدأ مثل الحديد الفرنجي الذي يصدأ سريعًا فتتلف البندقيَّة لزوال ميزانية ثقب انبوبها . وقد بيَّنَّا في مقالتنا عن سرّ صناعة الجوهر (ص ٧٠١) ان لحديدنا من ذات معدنهِ خواصّ تميّزهُ وذلك فضلًا عن طريقة عجنهِ وتركيبهِ

وممَّا يؤيد قولنا في فضل الحديد الشرقي عدَّة اختبارات اجريناها في البنادق الشرقية والبنادق الفرنجيَّة فكنَّا نأخذ بندقيَّتين متساويتين في الجودة والعيار احداهما شرقيَّة واخرى افرنجيَّة فنصوِّبهما الى نصب واحد فكانت البندقيَّة الشرقيَّة تصيب الهدف بخلاف الفرنجية التي كانت تطيش عنهُ او لم تبلغهُ . وقد كرَّرنا هذا الامتحان في بندقيَّات الخردق والرصاص (الششخانات) . فكانت نتيجة اختباراتنا كلها تثبت فضل البندقيات الشرقيَّة

---

١) القربينة كالفرد الَّا انها امتن منهُ واكبر وخشبها كخشب البندقيَّة لها فوهة واسعة وخزنة متينة لتقوى على كثرة البارود والرصاص المعروف بالغزلاني وتستعمل في مهاجمة العدوّ . واذا حشوها بارودًا فقط واطلقتها سُمع لهُ دويّ عظيم ولذلك يستعملونها في حفلات العرس والاعياد والافراح

٢) الظربطانة كالبندقيات في صورتها الَّا انَّ ادواتها اضخم منها فهي عبارة عن مدفع صغير ولذلك كانوا يتخذونها للطلقات الكبيرة

٣) هاتان البندقيتان كمدفعين صغيرين وهما تحملان على سيبة عند الرمي

الجهر الشرقيّ وفضلهُ وانواعهُ

وان سأل سائل عن سبب فضل بندقياتنا على ما سواها . أجبنا ان ذلك يتأتى من الجهر وسرّ اصطناعهِ الذي تفرّد بهِ الشرقيون

والجهر كما سبق القول (راجع المشرق ٣ : ٥٨٠) هو الجوهر الحديديّ في الاسلحة الناريّة وهو كالجوهر الفولاذيّ المعروف بالضبان الذي وصفناهُ في مقالتنا عن السيوف الشرقية . ووجه اختلافهما انَّ الجوهر الضبان هو مختصّ بنصال الاسلحة البيضاء كالسيوف وما شاكلها امَّا الجهر فهو مختصّ بجديد الاسلحة الناريَّة ولكليهما تموُّجات تظهر فيهما عند التخضير (ص ٥٨٠)

وللجهر كما للضبان خواصّ عجيبة كالمتانة والصلابة وصبر اسلحتهِ على الزمان لا يُصدئها طول العهد . فعندنا بندقيَّات مجهريَّة من نحو ٢٠٠ سنة فترى حديدها صافياً لم يقوَ عليهِ الصدأ بخلاف بعض البندقيَّات الفرنجية التي ابتعناها من زمن قريب فان الصدأ قد تولَّى عليها واتلفها

وممن عُني في الشَّرق باصطناع الجهر ونالوا فيهِ ذكرًا طيّبًا اهل دمشق الشام والعجم والجزائر وبلاد الارنؤوط ومصر . والذين برَّزوا في صُنعهِ وبلغوا اسمى طبقة في تحسينهِ هم الدمشقيون والعجم . وعن اهل دمشق اخذ الفرنج الجهر ولقَّبوهُ بداماس(damas) اشارةً الى اصلهِ (Damas) . وقد اقرُّوا بفضلهِ مرارًا . ويجدر بنا في هذا المقام ان ندوّن شهادة احد فضلاء الفرنسيس ممن لهم الباع الطولى في تجهيز السلاح وهو المسيو ماريوس برجار (M. Berger) صاحب معمل سلاحيّ كبير في سَنت اتيان قال في مقدّمة كُتيّب جمع فيهِ شهادات الذين اختبروا اسلحتهُ ومدحوها وهاك تعريب كلامهِ :

« انَّ معملنا اقدم معمل سبق الى اصطناع « جوهر داماس » وذلك انهُ عندما انشبت الحرب بين الفرنسويين واهل الجزائر (١٨٣٢-١٨٤٧) رأت الحكومة الفرنسويَّة انَّ سلاح الجزائريين امضى من سلاحنا وكانت بنادقهم تصيب المرمى وتفتك بعساكرنا فتكًا ذريعًا . فاستدعى اركان الحرب جدي وعهدوا اليهِ فحص هذه الاسلحة واكتشاف سرّها فسار الى الجزائر وجمع عددًا وافرًا من الاسلحة التي كانت عساكرنا غنمتها من العدوّ فحلَّل حديدها وعرف تركيبهُ وجعل من ثمَّ يصطنع حديد الاسلحة من « الداماس » مثل اهل الجزائر . فكان مذ ذاك الوقت لمعملنا التقدم على بقيَّة المعامل الفرنسويَّة في اصطناعهِ « الداماس »

والجهر كالضبان على اشكال عديدة. ولكلّ شكل اسمٌ معلوم يُعرف بهِ فدونك اشهر اصنافهِ مع تعريفها:

(جوهر الحارة) هو من اشرف انواع الجهر وابدعهـا منظرًا يتألف من عدّة خانات في كل خانة عُقـد عديدة تشتمل على خطوط واسلاك كثيرة. وهذا النوع قد تفنن فيهِ ارباب الصناعة بالزيادة عن غيره فتارةً ترى خاناتهِ كبيرةً وعقدهُ مستطيلة وتارة فيهِ الاسلاك الدقيقة. ومنهُ ما يظهر فيـهِ شبه ورق العريش وهلمّ جرًّا. وكان البعض يصنعون البندقيّات من انواع أُخرى من الجوهر ثمَّ يصنعون خزنتهـا وفوهتها من جوهر الحارة

(مجهر صرما) لا يختلف عن جوهر الحارة الّا باشكال خاناتهِ يدخلون بعضها في بعض وهو بعد الحارة قيمةً وقدرًا

(مجهر قندلان) هو ذو عُقد مستطيلة بيضية الشكل فيهِ خطوط لطيفة واسلاك دقيقة وهذا النوع شائع في مصر وهو جميل المنظر

(مجهر عُبودي) هو اشبه بقطع متلاحمة ذات خطوط يركب بعضها على بعض لم يصنعهُ غير اهل دمشق

(مجهر اسلامبولي) ويعرف ايضًا بجهر لفّ وهو كاسلاك مستديرة متلاحمة بعضها وليس لهُ كبير اعتبار. واهل الشام يشتغلونهُ وربّما جعلوا خزانات بندقيّاتهِ وفوهاتها من جنس آخر اعلى قيمةً كالحارة والصرما

ويوجد ضروب اخرى من الجهر كالجهر المدعو زين الدين ابا حزّين. واشتهرت بندقيّات الفلنتا وابي ريشة وأُمّ عيون (١ باصابة الرمى. وغير ذلك ممّا يطول شرحهُ

واعلم ان مَهرة الصنّاع يمكنهم ان يصطنعوا كلّ اصناف الجهر وترى بعضهم يجمعون في البندقيّـة الواحدة من خمسة اشكال الى اثني عشر شكلًا. وممّا يُذكر فيُشكر انّ المعلم بشاره ابراهيم الجلخ صنع في دير القمر بندقية للامير بشير الشهابي الكبير زيّنها باثني عشر شكلًا من الجوهر ساعدهُ في لحمها مراد الحدّاد وكان قينًا مشهورًا باشغال الحديد يقصدهُ الناس من كلّ الجهات لشهرتهِ. وكان لهذه البندقيّة زندٌ فاخر صنعهُ ابو عبسي زراقط من حذّاق المعلمين. فلما رأى الامير هذه البندقيّة سُرّ بها واجاز صاحبها

١) دعيت ام عيون لانهم كانوا يصنعون فوهتها كرأس افعى ويصنعون العينين من الياقوت او غيره

بجائزة سنية وقدَّمهُ عنده. وقد كان في خزينة الامير المذكور اسلحة كثيرة غالية الثمن مرصَّعة بالحجارة الكريمة وموشَّاة بالذهب الابريز والفضَّة الخالصة وكان في خدمته كثير من صنَّاع العجم والارنؤوط وحلب والشام استدعاهم من بلادهم وعنهم اخذ كثيرون من اهل دير القمر عدَّة صنائع وفنون اشتهروا فيها الى ايامنا هذه

في اظهار اشكال الجهر

لإظهار اشكال الجهر طريقة واحدة وهي ان تأخذ انبوبة (حديدة) البندقية وتجلوها بالرمل حتى يزول صدأها تماماً. ثمَّ تفركها بعصارة ليمون حامض وتغسلها اخيرًا غسلًا جيدًا بالماء. وبعد ذلك تسدُّ بسدادة من الخشب فوهة الانبوبة وقنَّتها سدًّا محكمًا وتأخذ اقّة من مسحوق الكبريت العمودي ونصف اقّة من الملح العادي وتمزجها معًا بقليل من الماء فتطلي بهذا المزيج الانبوبة وتبقي عليها الطلاء ثلاثة ايام متوالية وفي كلّ يوم تُرَشّ بالماء ثلاث مرات بالنهار. وفي منتهى اليوم الثالث انزع هذا الطلاء وافركها بالرمل والماء بقطعة من شعر حتى تنظف جيدًا. ثمَّ خذ شيئًا من رماد القصبة بعد نخله وافرك به الانبوبة ثمَّ اغسلها ونشّفها وصبّ عليها الزيت حالًا فترى لون الحديد جميلًا كالفضَّة. وترى الجوهر قد ظهر بخطوطه وعقده وخاناته البديعة ومحاسنه الفاخرة

في انبوبة البندقية وملحقاتها

اعلم ان اختيار الحديد الذكر وحسن تركيبه وتحليته بالجهر لا تفيد شيئًا إلّم تُحكَم انبوبة البندقيَّة ويسدَّد ثقبها ويجعل لها نظارة. وكلُّ ذلك قد اهتمَّ به الشرقيون ليجعلوا بندقيتهم بعيدة المرمى لا تخطئ هدفًا

(الانبوبة) انبوبة البندقية يدعونها ايضًا بالحديدة وهي تختلف طولًا عند الشرقيين فمنها ما يكون طولهُ ٧٥ سنتيمترًا فقط والبعض يزيدون في طولها الى متر. وقد تفنن الاقدمون في هيئاتها (مدَّاتها). فترى منها ما يكون متسعًا (مخزَّنًا) عند الخزانة ومخصَّرًا في الوسط ثمَّ تُوسَّع الفوهة بتدريج فتُختم على شكل الجاصة او رأس افعى. ومنها ما تكون مثمَّنة عند الخزانة او مزيَّنة بنقش ناتئ كالزنَّار او يحفرون على مؤخره شبه ريشة بديعة الى وسط الانبوبة ويختمونها بصورة نخلة او وردة عند الفوهة والبعض يجعلون الانبوبة مثمَّنة في كلّ طولها او يتخذونها على شكل المداقع الحديثة ذات الطرز الجيد اي تُوسَّع (تخزَّن) قليلًا عند الفوهة ثمَّ تخصَّر فتتسع بتدريج الى

الخزانة. الى غير ذلك من الاشكال التي اهملها المحدثون لكثرة ما يستغرق شغلها من الوقت

(الثقب والشِّشخانة) وقد جعل الشرقيون اثقاب بندقياتهم وششخاناتها (١ (canon rayé) على انواع عديدة وعيارات (calibres) مختلفة فبندقيات الرصاص تكون في الغالب رفيعة العيار (٢ او متوسّطة. ومنها ما يكون واسع الفوهة على طول خمسة قواريط بحيث تجري الرصاصة اوّلًا بسهولة ثم تزيد قوّتها بالضغط. ومنها ما اتخذوا لها في الداخل حربة يجعلونها في القرق بطول ٥ سنتيمترات فتدخل الحربة بالرصاصة عند دكّها فيزيد ضغط البارود. وكلّ هذه البندقيات ذات ششخانة باينة يبرم بعضها ثلثي برمة وبعضها برمة كاملة الى ثلاث برمات

واما الثقب في بندقيّات الصيد فيكون اما متساويًا واما واسعًا عند الخزانة بتدريج من ٥ الى ٨ سنتيمترات. ومنهُ ما يكون واسع الفوهة لينبثّ الخردق ولا ينطلق الى البعيد. وقد صنعوا ششخانة للخردق ليجري مستقيبًا وهي خطوط مستقيمة كششخانة الفرنج المسمَّاة بشُكّرفلد (choke-rifled) فمما سبق يظهر جليًا انَّ الاقدمين لم يفتهم شيء من امر حسن الثقب والششخانة كما توهّم المحدثون

(النظّارة) صفيحة ناتئة تجعل في خزنة البندقية فيها ثقوب علوّها من ٣ الى ٩ سنتيمترات ليضبط الرامي نظرهُ باحدى اثقبها الى «القمحة» فالطريدة. وكان القدماء يصنعون النظّارة على اشكال شتى. الّا ان مركز هذه النظارة كان قريبًا من قرق البندقية اي في آخر الحديد وكذا كان يصنعهُ الفرنج قديمًا. اما النظّارات الحديثة فقد قدَّموها نحو عشرة سنتيمترات فوضعت على الانبوبة وجعلت «بسحّاب» ومشرّة لمعرفة المسافة. وهي تطبق وتنصب عند الحاجة

(اخشاب البندقيات) كان الاقدمون يراعون في اخشاب البندقيات الزخرفة والنقوش اكثر منهم الاحكام الهندسيَّة فكانوا يصرفون همّهم بتزيينها بكل اصناف الحلي وكانوا يجعلون الخشب الى حدّ فوهة البندقيَّة ويلفّونهُ باساور فضيَّة محكمة الصنع ومحلّاة بالنقوش الانيقة وكثيرًا ما كانوا يطلون الاساور بالذهب. وكان بعضهم

١) الششخانة لفظة فارسيَّة معناها ستّ خانات لانَّ خطوطها كانت سابقًا ستّة

٢) والعامَّة يدعون العيار درهمًا ٣) القرق البرغي الذي في خزنة الانبوبة

يحفرون الخشب ويجملون لهُ اشكالًا ورسومًا بديعة تمثل صور الصيد وهيئاته . وربما كانوا يتزلون في الخشب الاسلاك المعدنيَّة الثمينة كالفضَّة وغيرها فيُرى لهُ منظر بديع بما فيه من النقوش المختلفة الآخذة بابصار الناظرين . وقد رأينا من ذلك تحفًا تعدُّها اذا تأمَّلتها آيةً من آيات الجمال

فهذا جلّ ما رأينا اثباتهُ عن البندقية الشرقية من المحاسن في هذه المجلة الغرَّاء اجابةً لطلب اربابها الافاضل الحريصين على نشر العلوم وصنوف العرفان في اقطارنا السوريَّة واحياء مفاخر بلادنا الشرقيَّة وحفظ آثارها وتخليد مجدها وفخارها . فأملنا ان تصادف من عموم القرَّاء قبولًا لاسيا وهي اوَّل مقالةٍ كُتبت بالعربية في هذا الباب لعهدنا هذا . فاننا تحرَّينا فيها مزيد البحث والعناية في تدوين مآثر اجدادنا قبل ان تعبث بها يد البلى والاضمحلال . وموعدنا في ما سيأتي ان نوافيهم ان شاء الله تعالى بوصف اسلحة الصيد الاوربيَّة وما هي عليهِ من الاحكام الهندسيَّة ليقفوا على افكار الاوربيين وتقدّمهم ويدركوا جدهم واجتهادهم الذي حَسُنت بهِ حالهم وعمرت بلادهم فحسَّن المولى احوالنا بالصنائع والفنون التي تفتقر اليها بلادنا انهُ المحسن الكبير السامع الدعاء

طائفة الكلدان الكاثوليك

نبذة تاريخية للقسين الفاضلين ادي مليا ابراهيما وبطرس نصري الكلدانيين (تتمة لما سبق)

٥

ولد يوسف المذكور في آمد (١) وانكبَّ منذ نعومة اظفاره على الدرس . ولمَّا كان مزيَّنًا بجميع الفضائل اختير وارتسم مطرانًا على الطائفة النسطوريَّة . لكنَّهُ ما عتم ان انضمَّ الى الكنيسة البطرسيَّة (سنة ١٦٧٠) . فاخذ بكلامهِ وافعالهِ يقلع الزوان الذي وجدهُ في حقل شعبهِ . فمنذ ذلك الحين انفتح وجهه ميدان وعر كان اشبه بسبيل جهاد مؤدٍّ الى الاستشهاد . غير انَّ اشدَّ المحن والاضطهادات لم تكن لتردَّهُ عن مساعيهِ الجليلة بل جرى ثابت الجنان متسمًا بقوَّة الرحمان . وكان جلّ غرضهِ اعادة طائفتهِ باسرها الى جادَّة الدين المستقيم

(١) راجع ترجمتهُ المطبوعة في باريس سنة ١٨٩٥ J. - B. Chabot : *Les origines du patriarcat chaldéen*

ألّا ان ايليا الثامن المارّ الذكر غضب ايّ غضب لمّا بلغهُ خبر نجاح يوسف. فارسل يستدعيهِ كأنَّ لهُ كلامًا يسرّ بهِ اليهِ. فلم يجب يوسف الى سؤلهِ لعلمهِ ما وراء ذلك من الدسائس الخفيَّة. فبعث اليهِ مار ايليا واحدًا من علماء طائفتهِ بغية ان يستميلهُ الى النسطوريَّة. لكن الرسول عاد بصفقة خاسر

فقام حينئذٍ ايليا نفسهُ وذهب الى آمد يصحبهُ خمسون رجلًا من خاصَّتهِ سعيًا بهلاك المطران يوسف. فاستقبلهُ ذووهُ بعزّ واكرام وقوي على خصمهِ وضبط منهُ الكنيسة. ثم نالت مار يوسف محن وبلايا شديدة واوجاع قاسية يطول شرحها وهو لم يزل متمسكًا بالديانة المستقيمة. فحُبس مرَّتين في سجن اللصوص وفعلة الاثم وجُلد وأُذيق الوان العذاب لكنَّ الله لمَّا رأى صبره مدَّ اليهِ يدهُ القديرة فانقذهُ من يد اعدائهِ. فان الحكَّام عرفوا اخيرًا برارتهُ فاخذوا بناصرهِ. وحكموا ان يبقى هو مطرانًا على آمد وماردين ويُطرد البطريرك ايليا الى الموصل. فرجع هذا الى محلهِ مُفعمًا خزيًا وخجلًا

وبعد ان رجع مار يوسف الى كنيستهِ اصابتهُ اوجاع مختلفة اوشكت ان تذيقهُ كاس المنون. لولا انَّ الله عافاهُ ومدَّ في اجلهِ لخير شعبهِ. وما كاد ينتقه تمامًا من مرضهِ حتى قام عليهِ اخصامهُ النساطرة. فكبِّل بالقيود وأُلقي في سجن مظلم. فقاسى عذابات شديدة وأُصيب بداء الزُحار. وفي تلك الاثناء وصل الى آمد المطران داود الذي كان النساطرة قد ارسلوهُ الى ايليا البطريرك ليجعلهُ مطرانًا عليهم. فعزل مار يوسف وضبط هو عنان تدبير الكنيسة

فقام مار يوسف ورحل الى رومة ليستريح من اتعابهِ (سنة ١٦٧٥). وبقي ثمة سنة وخمسة اشهر. لكنَّ اهل رومة لم يساعدوهُ لانهم ظنُّوا فيهِ انهُ مثل غيرهِ ممن قالوا نعمل ولم يفعلوا. فرجع حزينًا كئيبًا لكنَّهُ وضع رجاءهُ على الربّ وعلى شفاعة العذراء القديرة فالتقى في طريقهِ بالمطران فرنسيس پيكه الفرنساوي (١. فساعدهُ واجزل عليهِ العطايا

---

(١) اسمهُ فرنسيس پيكه (Fr. Picquet) لا بيخو (Bikho) كما ورد في مجلة الشرق المسيحي (l'Orient chrétien, I, 85). ولد في ليون من اعمال فرنسا ثم صار قنصلًا لدولتهِ سنة ١٦٥٢ في حلب وقام بهذه الرتبة احسن قيام الى سنة ١٦٦٠ حين هجر العالم وخصَّص نفسهُ بخدمة الله في الدعوة الاكليريكيَّة. فارسلهُ الكرسي الرسولي بصفة قاصد رسولي الى بلاد العجم بعد ان سيم اسقف على سيزاربل (Césarople) سنة ١٦٨١ وبقي مدَّة في اصفهان. كانت وفاتهُ نحو سنة

فلمَّا بلغ آمد نصرهُ الله على اعدائهِ. ففرَّ المطران داود النسطوري هاربًا الى مولاهُ ايليا البطريرك. وفي تلك الغضون حصل على البراءة الشاهانيَّة من جلالة محمد الرابع سنة ١٦٧٧. فتقوَّى واشتدَّ ازرهُ وثبَّتهُ اينوكنت الحادي عشر بطريركًا على الكلدان الكاثوليك بسعي المطران فرنسيس بيكي المذكور وارسل لهُ درع الرئاسة. فبذل سعيهُ في تثبيت شعبهِ في الايمان المستقيم وردَّ الضالّين الى حظيرة الراعي الصالح. وكان متعبدًا لمريم البتول لا يزال يحث المؤمنين على طلب شفاعتها. وهو الذي علَّمهم عبادة الوردية المقدَّسة (١

وكان كثيرٌ من الكلدان يقدمون عليهِ من الموصل وبغداد ليستشيروهُ ويستنيروا بتعاليمهِ الخلاصيَّة. وهذا مما يدلُّ على ان الكلدان الكاثوليك كانوا كثيرين حينئذٍ في هذه الاقطار

ولمَّا كانت اواخر سنة ١٦٩٤ تسلَّطت عليهِ الاوجاع واخذ بصر عينيهِ يضعف يومًا فيومًا. فتنازل عن الحقوق البطريركيَّة وذهب قاصدًا رومية (٢ ومات ثمَّة ميتة الابرار سنة ١٧٠٧ (٣

وقام بعدهُ بتدبير الكنيسة الكلدانية يوسف الثاني سنة ١٦٩٤ وكان من تلاميذهِ الفضلاء الغيورين. وُلد يوسف في قرية تلكيف بقرب الموصل سنة ١٦٦٧ من والدين كاثوليكيَّين. وكان ذا قريحة تلوح عليهِ امائر الفهم والذكاء. ولمَّا طرق مسامعهُ ما خُصَّ بهِ يوسف الاول من الفضل انطلق اليهِ وتتلمذ لهُ سنة ١٦٨٩. ثم رأى مار يوسف نجاحهُ في العلم والفضيلة فرسمهُ كاهنًا ثمَّ رقَّاهُ الى الدرجة الاسقفيَّة (٤. ولمَّا

١٦٩٩. ولهُ مآثر جليلة مشكورة ساعد بها الكنائس الكاثوليكية في المشرق لاسيما الموارنة والسريان والكلدان (المشرق)

١) قال القس بطرس نصري: واقام مار يوسف الاول اسقفة على ماردين وسعرت ونواحيها وشاع صيتهُ الى جهات الموصل وبغداد وقصدهُ اشخاص كثيرون من الافاضل ليستشيروهُ ويقتبسوا من كثر فضائلهِ واشهرهم صليبا الشمَّاس التلكيفي الذي خلفهُ باسم يوسف الثاني

٢) ورواية القس بطرس نصري: «انهُ لمَّا أُصيب بالرمد قصد رومية سنة ١٦٩٤ فشُفي باعجوبة بشفاعة العذراء مريم ثم استقال من منصبهِ سنة ١٦٩٥.»

٣) ودفن في مصلَّى مدرسة مجمع انتشار الايمان (ب. ن.)

٤) قال القس بطرس نصري: سامهُ اوَّلًا كاهنًا وسمَّاهُ يوسف باسمهِ ثمَّ رقَّاهُ الى درجة الاسقفية وجعلهُ نائبًا لهُ في آمد (ديار بكر) ولم يكن يومئذٍ في آمد طائفة كاثوليكية معروفة رسميًّا

تنزَّل عن الكرسي البطريركي خلفهُ على كرسيهِ. وثبَّتهُ البابا اينوكنت الثاني عشر سنة ١٦٩٥ (١. ودبَّر الكرسي الى سنة ١٧١٣ (٢

وكان يوسف الثاني من اوسع بطاركة الكلدان علماً وغيرةً. فصرف همتهُ الى خير طائفتهِ بتأليف الكتب. ومن انفس تآليفهِ كتابهُ الموسوم بالمرآة الجليَّة فيهِ دحض وفنَّد اضاليل النساطرة واليعاقبة والارمن والروم واثبت عقيدة الكنيسة الكاثوليكية (٣. ولهُ تآليف اخرى كثيرة لا يسعنا هنا ذكرها (٤

وجلس بعدهُ على الكرسي البطريركي يوسف الثالث. كان مسقط رأسهِ كركوك وكان مطراناً على ماردين. واثبتهُ البابا اقليميس الحادي عشر وارسل لهُ الباليوم في شهر شباط سنة ١٧١٤. واحسن القيام باعباء مهمَّتهِ. ولمَّا توفي ايليا مروكي التاسع بطريرك النساطرة في القوش سنة ١٧٢٣ (٥ انتهز مار يوسف الثالث الفرصة وحصل على براءة تولّيهِ على الكلدان القاطنين في الموصل. فجاء الى هذه المدينة نحو سنة ١٧٣٠ ليقوم باعباء رئاستهِ. لكنَّ مساعيهُ ذهبت ادراج الرياح. لانَّ بطريرك النساطرة الجديد ايليا العاشر اثار عليهِ اضطهادات مهولة وحبسهُ مدَّة حتى تمكَّن بعد الجهد الجهيد من النجاة من السجن فهرب راجعاً الى آمد (٦

وفي ايامهِ زاد عدد الكلدان الكاثوليك في الموصل وذلك بهمَّة الرهبان الكبوشيين الذين كانوا نصبوا فيها رسالة نحو سنة ١٧٢٥. وفي ايامهِ ايضاً اتى المرسلون

من الحكومة المحلية سوى الكلدانية فصار جاثليقاً على جميع الطوائف الشرقية في نواحي آمد وماردين من سريان وارمن وروم وكانوا يقضون فروض عباداتهم عند الكلدان الذين قاسوا لاجل ايمانهم في ذلك الزمان بلايا ومشقَّات لا توصف ١) في حزيران ١٦٩٦ ونال الدرع المقدَّسة (ب.ن)

٢) توفي سنة ١٧١٤(؟) وفي عهدهِ نما زرع الايمان الكاثوليكي واهتدى اهل القرى المجاورة. واقام اساقفة لابرشيَّاتهِ منهم المطران باسيليوس الذي جعلهُ نائبهُ (ب.ن.)

٣) وفي آخر هذا التأليف ملخَّص ترجمة حياتهِ (ب.ن.) ٤) منها الصلوات القانونية التي رتَّبها للاعياد والتذكارات. التي دخلت جديداً في فرض الكلدان (ب.ن.)

٥) توفي في ٤ كانون الاول سنة ١٧٢٢ (ب.ن.).

٦) قال القس بطرس نصري: «مار يوسف الثالث هو المعروف ايضاً بماروكي وكان من آمد وقيل من كركوك. سامهُ سلفهُ مطراناً على ماردين باسم طيموثاوس ولمَّا صار بطركاً شرَّفهُ البابا بلقب بطريرك بابل ليتولَّى ادارة المهتدين في بلاد بابل واثور ونواحيها ايضاً وكان سلفاؤهُ يُدعون باسم بطريرك الكلدان فقط. وعليهِ فسعى بتحصيل براءة سلطانية نالها سنة ١٧٢٣. مكَّنتهُ من التصرُّف

الدومينيكيّون الى الموصل (سنة ١٧٥٠) وانشأوا فيها رسالةً ثم فتحوا رسالة اخرى في العمادية. وكان دخولهم الى الموصل بهمّة القس خدر الموصلي. فانّ هذا الرجل الفاضل لمّا رأى ان الكبوشيين أمروا بمبارحة رسالة الموصل لم يزل يسعى لدى الكرسي الرسولي حتى عيَّن البابا الرهبان الدومينيكيين لهذه الرسالة بدلًا منهم (١

ثم انَّ يوسف الثالث ذهب نحو سنة ١٧٤٠ الى رومية ليزور الاعتاب الرسولية. وكانت وفاتهُ في آمد في ١١ كانون الثاني سنة ١٧٥٧

وقام بعدهُ باعباء الرئاسة يوسف الرابع (٢. وثبّتهُ البابا اقليميس الرابع عشر سنة ١٧٦٠ برسالة خصوصيَّة ودبَّر الطائفة الى سنة ١٧٨١

وخلفهُ يوسف الخامس وكان صالحًا فاضلًا تقيًا. وتوفي سنة ١٨٢٦ قبل ان ينال التثبيت من الكرسي الرسولي (٣. وكان في تلك الاثناء بذار التقرُّب الى الكنيسة

في بلاد الموصل التي كان اكثر النصارى فيها من النساطرة توفي سنة ١٧٥٧ »

١) قال القسّ بطرس نصري: « واهتدى جمٌّ غفير من بلاد بابل والموصل بسعي رسالة الكبوشيين التي تأسست في الموصل سنة ١٦٣٦ ورسالة الكرمليين التي تأسست في البصرة وبغداد سنة ١٦٢٢. ومن اشهر هؤلاء المهتدين القس دانيال بن ادم الالقوشي الذي هرب الى آمد خوفًا من اضطهاد ايليا التاسع وخلفهُ ابنهُ حنَّا حكيم الذي اشتهر في الطبّ والنفوذ لدى الحكّام والغلاة عن الكثالكة. ومنهم القس خدر ابن المقدسي هرمز الموصلي الذي استنار بقراءة كتاب المرآة الجلية لمار يوسف الثاني وشرع يعلّم مبادئ الدين الكاثوليكي تلاميذ مدرستهِ وهرب الى رومية خوفًا من اغتيال ايليا العاشر والَّف ثمَّت معجمهُ العربي السرياني وقصائد عربية وسريانية في مدح العذراء والكنيسة الرومانية. وهو الذي سعى لدى البابا بنديكتس الرابع عشر بتأسيس الرسالة الدومينيكية في الموصل سنة ١٧٥٠ وقد اتى هؤلاء المرسلون باثمار شهيَّة في هذه النواحي الاثوريَّة وكان الرهبان اولاً من الاقليم الايطالي ثمَّ صاروا تحت ادارة الاقليم الفرنسي في عصرنا نحو سنة ١٨٥٩

٢) قال القسّ بطرس نصري: « وكان اسمهُ لعازر الهندي واصلهُ من امد وكان درس في مدرسة مجمع انتشار الايمان وسامهُ سلفهُ مطرانًا (١٧٥٧) وجعلهُ نائبهُ بعد وفاة طيموثاوس. وفي سنة ١٧٦٣ سار الى القسطنطينية فنال فرمانًا من الباب العالي لترميم بيعة مار فثيون المتداعية الى الخراب ثمَّ عرَّج الى رومية واقام فيها ست سنوات وسعى في طبع القداس المنسوب الى الرسل وفصول العهد الجديد من الاناجيل والرسائل التي يتلوها السريان الشرقيون ايام الآحاد والاعياد. ولمَّا عاد مار يوسف الى امد ابتُلي بهموم وضيقات شتَّى وحصل لهُ نزاع طويل مع مار عمانوئيل مطران بغداد اللاتيني بسبب تداخلهِ في ادارة الكلدان الروحية. فاستقال من منصبهِ وقصد رومية ثانية سنة ١٧٩٠ وكانت وفاتهُ فيها

٣) قال القس بطرس نصري: لمَّا استقال مار يوسف الرابع اقام الكرسي الرسولي مار يوحنَّا

الكاثوليكية المزروع في آثور اخذ ينبت بنوع عجيب الى ان صار دوحة كبيرة

٦

وفي تلك الاثناء كان ايليّا العاشر صاحب الكرسي البطريركي النسطوري مقيمًا في القوش. فلمّا رأى ان عدد الكلدان الكاثوليك لا يزال في ازدياد في الموصل وقراها وانّ جميع الكلدان الذين في بغداد وكركوك كانوا قد اعتنقوا الكثلكة عوّل على نبذ الشيعة النسطوريّة فاذعن الى الحقّ واحبّهُ واتحد مع الكرسي الرسولي (١ ودبّر الكلدان

(او يوحنّان) هرمز نائبًا على البطريركية الآمديّة استنادًا على كونهِ مدبّرًا للبطريركية البابلية الشاملة منذ قديم الزمان كل الجهات التي كان يسكن فيها الكلدان. الّا انهُ كثرت بعد ذلك الشكايات على يوحنا هرمز فارتاب المجمع المقدس في اهليّتهِ للبطريركية وامر ان يُسام اوغسطين هندي ابن اخي يوسف الرابع وتلميذ مجمع انتشار الايمان مطرانًا على آمد ومدبّرًا لبطريركيتها فشقّ ذلك على يوحنًا هرمز واساء التدبير حتى ابطلهُ الكرسي الرسولي واقام اوغسطين هندي نائبًا رسوليًّا على البطريركية البابلية ايضًا. فاشتدّ النزاع بين اوغسطين هندي ويوحنًا هرمز. وكان اوغسطين هندي ينكل بخصمهِ ويزيد في الشكايات عليهِ ليتسنّى لهُ الارتقاء الى السدّة البطريركية وهو يتوق اليها بل شرع يسمي نفسهُ في عنواناتهِ الرسميّة بطريركًا بلقب يوسف الخامس. فشعر الكرسي الرسولي بسوء غايات اوغسطين وارتاب في صحة شكاياتهِ ولذلك ارسل السيد اسكندر بطرس كوبري مطران بغداد اللاتيني كقاصد رسولي الى الموصل لبتّ المشكل. فلمّا اطّلع على سلامة سريرة مار يوحنًا هرمز حلّهُ من التبطيل واعادهُ الى رتبتهِ الاولى والغى نيابة اوغسطين هندي على البطريركيتين الآمديّة والبابلية. فصار يُعتبر بمثابة مطران على آمد فقط الى وفاتهِ سنة ١٨٢٧. الّا انّ الاختلاف لم ينحسم بذلك بل انقسم الشعب الى حزبين كاثوليكيين يوحنّاني ويوسفيّ. ومن اقوى الوسائط التي كان اخصام يوحنًا هرمز اتخذوها لتوقيف نجاحهِ لمّا رأوا ميل السيد كوبري الى حمايتهِ أنّهم قدّموا لاوغسطين هندي خمسة من الرهبان ساهم اساقفة ليقوى بذلك حزبهُ. وكان من جملتهم يوسف اودو الذي أُقيم اسقفًا على نينوى. ولم تهدأ هذه النزاعات الى ان سعى السيد كوبري المشار اليهِ بترقية يوحنًا هرمز الى المنصب البطريركي وتسليم ابرشيّة العمادية الى يوسف اودو»

١) قال القس بطرس نصري في ترجمة اليّا العاشر واليّا الحادي عشر: «لمّا تبوّأ اليّا العاشر الكرسي البطريركي النسطوريّ كانت الهداية الى الكثلكة على قدم النجاح. وكان ناطور الكرسي يشوعياب ابن اخي ايليا العاشر وهو الذي خلف عمّهُ باسم ايليا الحادي عشر سنة ١٧٧٨. فيشوعياب المذكور رحل الى بغداد ليقدّم باسمهِ واسم عمّهِ صورة ايمانهِ الكاثوليكي الى السيد عمانوئيل مطران بغداد اللاتيني ويطلب منهُ الحلّة. فاقتبلهُ السيد المذكور بفرح وبشّر السدّة الرسولية بهذا الخبر الّا ان هذا الاتحاد لم يبقَ ثابتًا اقلّهُ نظرًا الى سلامة النيّة. وعليهِ فاذ رأى الكاثوليكيّون تقلّب رأي ايليّا العاشر وناطور كرسيهِ ايشوعياب اختاروا مار يوحنًا هرمز مطران الموصل واحد ابناء العائلة

الذين في الموصل ونواحيها الى سنة ١٧٧٨ التي فيها فشا الطاعون في هذه البلاد وفتك في اهلها فتكاً ذريعاً. ومات فيه ايليا البطريرك ايضاً (١. قيل أنهُ مات من رعيَّتهِ نحو ثمانمائة نفس في قرية القوش وحدها

ومن بعد وفاتهِ تنازع البطريركيَّة يشوعياب ويوحنَّا هرمز. وكان كلاهما من اولاد اخوتهِ. امَّا المطران يشوعيـاب وكان الاكبر فكان قد اعتنق الديانة الكاثوليكيَّة في بغداد سنة ١٧٤٩ على يد المطران عمانوئيـل القاصد الرسولي. الَّا انَّ كثيرين كانوا يرتابون في صدق ايمانهِ مع ما يظهرهُ من علائم الاتحاد مع الكرسي الرسولي لانهُ نُقِل عنهُ أنهُ كان تارةً يعتصم بالكنيسة الرومانيَّة وأُخرى يعود الى الضلال النسطوري. وامَّا يوحنَّا هرمز فكان نبذ النسطوريَّة منذ حداثة سنهِ. وكان مطرانًا على الموصل. ولم يثبتهُ الكرسي الرسولي بطريركًا على الطائفة الَّا من بعد وفاة يشوعياب ويوسف الخامس فارسل لهُ بيوس الثامن درع الرئاسة سنة ١٨٣٠ (٢. وتوفي في بغداد في ١٦ آب سنة ١٨٣٨

الابويَّة البطريركيَّة رئيساً عليهم. فجحد هذا النسطوريَّة واقتبل الحلَّة منها في ٢٠ نيسان سنة ١٧٧٨ ثاني يوم موت ايلياً العاشر عمهِ. فصار هو وايليا الحادي عشر اللذان كانا من عمومة واحدة يتنازعان الرئاسة فحصل من ذلك حزبان قويَّان كلاهما كاثوليكي الاول حزب المحافظين دعوا بذلك لتمسكهم بالرسوم والعوائد الطقسية القديمة التي لا تنافي اصول الايمان وكان زعيمهُ آل بيت الصائغ والثاني حزب المتأصلين الذين كانوا يبتغون ادخال عوائد طقسية جديدة متَّخذة من اللاتين والموارنة وابطال الرسوم القديمة. وكان زعيمهُ آل بيت الملبي. ومن هنا نجمت اكثر الاستحداثات التي أُدخلت في طقسنا الكلداني ثمَّ نُقِّي منها بعد ذلك واعيد الى رونقهِ القديم. ولا جرم انَّ هذه الاستحداثات اوقفت يومئذٍ اتحاد النساطرة مع الكنيسة الكاثوليكية التي امرت على الدوام ولا تزال تأمر بالحفظ على الطقوس الشرقية الابويَّة الشريفة الآثار

هذا وان مار يوحنَّا هرمز كان قد توفَّق الى الحصول على البراءة السلطانية وتثبيت الكرسي الرسولي الذي نصبهُ مطرانًا على الموصل ونائباً على البطريركية البابلية وكان ذلك نحو سنة ١٧٨٣ بسعي الاب رافائيل رئيس الرسالة الدومينيكية في الموصل الذي عرف خلوص معتقد مار يوحنا هرمز واختبر سريرتهُ وهمَّتهُ في نجاح الكثلكة. فلما رأى ذلك ايلياً الحادي عشر نزع رسمياً الى النسطوريَّة وسعى لدى الحكَّام وولاة العماديَّة الاكراد خصوصاً بمار يوحنَّا. وزادت الفتن والمشاحنات اذلك في بلاد اشور الى ان توفي ايليا البطريرك سنة ١٧٩٣

١) تولى ايليا العاشر كرسي البطاركة ٥٦ سنة (ب.ن)

٢) وبعد تلك الخطوب التي جرت بين الطائفة الكلدانية صدر امر بيوس الثامن الحبر الاعظم في ٥ تموز ١٨٣٠ بتقرير البطريركية البابلية في شخص مار يوحنَّان بسعي انسيد كوبري

وفي ايامهِ نجحت الطائفة كثيرًا وازداد عدد الكاثوليك في جميع الجهات. وهو الذي ردّ جع الى حضن الكنيسة الكاثوليكية جميع سكّان شقلاوه وعينكاوه وارموطا وكويسنجاق (سنة ١٧٧٩). واهل منكيش وارادن في صبنا بقرب العمادية. وكابد من جرّاء ذلك مشقات كثيرة وحُبس في العماديَّة ثلاثة اشهر ونصفًا

المارّ ذكرهُ. الّا انَّ هذا السيد لم يشاهد اثمار مساعيهِ. فانهُ قضى نحبهُ بالطاعون في بغداد سنة ١٨٢٩. فرأى المجمع المقدس وجوب توقيف اعلان ذلك الامر خوفًا من انشاء قلاقل في وسط الطائفة مع عدم وجود نائب يُعتمد عليهِ بعد موت قاصده. وكان لهذا السيد كاتب اسرار يدعى القس لورنس تريوش (Trioche) وكان من مرسيلية. فهذا اذ عرف باحتياج المجمع المقدس الى رجل يقوم مقام السيد كوبري ليجري اوامرهُ قصد الارتقاء الى الدرجة التي كان حاصلًا عليها مولاهُ. فوجد ترويجًا لمقاصده في القس نقولاوس زيو والقس كوركيس دي نطالي الفارسيَّين تلميذي مجمع انتشار الايمان وسيلة الى بلوغ غايتهِ وسعى لدى مار يوحنَّان هرمزد بترقيتهما الى الدرجة الاسقفية. ولم يزل هذان يطنبان في مدح القس لورنس حتّى اقتنع المجمع المقدس باهليَّتهِ. فصدر الحكم من لدن البابا غريغوريوس السادس عشر في ١٤ شباط سنة ١٨٣٧ باقامة تريوش مطرانًا لاتينيًا على بغداد وقاصدًا رسوليًا على هذه النواحي الشرقية. وأُسيم في ١٥ اب من تلك السنة بوضع يدي صديقهِ المطران بطرس دي نطالي بموجب الطقس الكلداني. الّا انَّ المجمع المقدس شرع بعد ذلك يتردَّد في خلوص الاجراءات التي اتى بها قاصدهُ تريوش. فانفذ شخصين من الرهبانية اليسوعية سنة ١٨٣٧ نفسها وهما الابوان منصور ريلّو وبولس ريكادونا ليتجسّسا حال الامور خفيةً. فلمّا اطّلع المجمع المشار اليهِ على حقيقة الحال استدعى السيد تريوش الى رومية ليؤدّي حسابًا عن قصادتهِ الوجيزة واقام مقامهُ السيد فيلارديل قاصدًا وقتيًا على بلاد ما بين النهرين. واصدر قرارهُ الذي ايدهُ غريغوريوس السادس عشر الحبر الروماني في ١٦ ايلول سنة ١٨٢٨ في شان اقامة مار نقولاوس زيو معاونًا لمار يوحنَّان هرمزد مع حق الخلافة العتيدة في البطريركية. ووافق هذا القرار أن مار يوحنان البطريرك توفي في ١٢ اب من سنة ١٨٣٨ نفسها في بغداد. وبموت هذا البطريرك اندثرت النسطوريَّة في بلاد بابل واثور وانقرضت السلالة الابويَّة.

وفي تلك الاثناء كان قد اهتدى جمٌّ وافر من نساطرة الابرشية العماديَّة المعدودة من الاقليم البهتاني بسعي القس كوركيس يوقانا الانقوشي ولاسيما مار يوحنان هرمزد ورسالة الاباء الدومينيكيين التي كان يديرها الاب ايبولاو صولدين. ولمّا تولى امرها مار يوسف اودو جاهد كثيرًا في هداية الضالين وكمَّل ما كان قد باشر بهِ المرسلون سلفاؤهُ. واخص المراكز التي اهتدت على يدهِ هي القرى الواقعة في ناحية المزوريَّة والشكان ثمَّ القرى الكثيرة التابعة لقضاء العمادية ثم ناحيتا زاخو ودهوك والقرى الملحقة بقضاء العقر والزيبار وقرى دهوك المجاورة لدير مار هرمزد وكانت هذه المراكز كلها داخلة في ابرشية واحدة وهي العمادية التي قُسمت بعد ذلك الى ثلث ابرشيات وهي العمادية وزاخو والعقر

وفي ايامهِ عبَر الاب جبرائيل دمبو دير ربَّان هرمز بقرب القوش . وكان مسقط رأسهِ ماردين وهو من تجّارها المعتبرين المشهورين . وكان على جانب عظيم من التقوى وصلاح السيرة . فاتى القوش سنة ١٨٠٨ بغية ان يسكن دير الربَّان هرمز فيتفرَّغ فيهِ للعيشة النسكية . واصابتهُ محن وبلايا كثيرة قبل ان يسكنهُ . لكنَّهُ انتصر اخيرًا على اعدائهِ بثقتهِ بالله فتمكَّن من السكنى فيهِ . وفي مدَّة يسيرة صار ابًا لاولاد كثيرين كانوا يعيشون معهُ عيشة النسَّاك متتبعين قوانين القديس انطونيوس الكبير . وجبره اولادهُ على ان يتقلد الدرجة الكهنوتيَّة . فترقى اليها سنة ١٨١١ وقد جازاه الله على اعمالهِ اذ انَّهُ في حياتهِ شاهد بعضًا من اولادهِ مرتقين الى الدرجة الاسقفية مثل يوسف اودو اسقف العماديَّة الذي جلس فيما بعد على المنصَّة البطريركية ولورنسيوس شوعا مطران كركوك وغيرهما »

ثمَّ انَّ الاب جبرائيل رحل الى رومية لزيارة نائب المسيح فطلب من الاب الاقدس تثبيت رهبانيَّتهِ فثبَّتها البابا غريغوريوس السادس عشر بسلطانهِ . ولمَّا قفل الاب جبرائيل راجعًا الى الشرق اثابهُ الله باكليل الاستشهاد سنة ١٨٣٢ على يد عساكر محمَّد باشا الراوندزي الكرديّ الذي كان رفع لواء العصيان على الدولة العليَّة وأخرب ضيعًا كثيرة ونهب دير الربَّان هرمزد (١

٧

ولمَّا مات يوحنَّا هرمز بطلت بموتهِ تلك السنَّة الوخيمة التي كان شمعون بطريرك النساطرة قد سنَّها كما مرَّ القول منذ سنة ١٤٥٠ ان لا يقوم بطريرك الَّا من عائلتهِ

وقام بتدبير الكنيسة الكلدانية بعد يوحنَّا هرمز نيقولاوس زيَّا . وكان مطرانًا على سلماس في بلاد فارس وهو من تلاميذ مدرسة انتشار الايمان المقدَّس . وثبَّتهُ البابا غريغوريوس السادس عشر سنة ١٨٤٠ (٢ . وجلس في اول الامر في خسراوه . ثمَّ

١) وفي هذه الاثناء اصاب الرهبانية الهرمزدية نوائب كثيرة منها ان موسى باشا الاكراد هجم على دير مار هرمزد سنة ١٨٣١ وطرد الرهبان من الدير واستولى على امتعتهِ كلها . وفي السنة التابعة عاد الاكراد ثانيةً فسار رسول بك البيويّ امير راوندوز بعسكرهِ الجرَّار الى جبال العمادية وفتحها وفتك بها ثم زحف الى القوش ونهبها وسباها وقتل منها خلقًا كثيرًا بحدّ السيف لاعترافهم بالايمان . وكان منهم القس جبرائيل رئيس الدير وخسر الدير في هذه المعمعة اموالًا وافرة

٢) في ٢٧ نيسان ١٨٣٩ (ب . ن .)

انتقل الى الموصل.ولم يدبّر الكرسي سوى اربع سنين (١٠ فانَّهُ تنازل عن حقوق البطريركية سنة ١٨٤٥٠ وذهب فقضى الأيام الاخيرة من حياتهِ في خَسراوه وطنهِ . وكانت وفاتهُ سنة ١٨٥٥

وفي ٢٨ تموز سنة ١٨٤٧.وقع الاختيار القانونيّ على اسقف العمادية يوسف اودو وثبَّتهُ الكرسي الرسولي في ١١ ايلول سنه ١٨٤٨٠ وهو من تلاميذ الاب جبرائيل كما سبق القول . وكان فاضلًا تقيًا يحيي الليالي بالصلاة والعبادة قد حنَّكتهُ الايام فصبر على بلايا الدهر . وحُبس في زمان اسقفيتهِ وعُذّب مرارًا عديدة . وفي السنين الاخيرة من عمرهِ صار انشقاق في الطائفة من جرَّاء المسألة الملبارية . فخلع البعض نير الطاعة وانضمَّ اليهم بعض المطارنة والكهنة والرهبان . فاستفحل الامر وانتشر الشغب اكثر ما يكون في الابرشيَّة البطريركية

ومن مساعيهِ المشكورة انهُ عقد مجمعًا لطائفتهِ فيهِ رسمت بعض القوانين . وبهمَّتهِ بنى الاب اليشاع احد خلفاء الاب جبرائيل في لحف الجبل المبني عليهِ دير الربّان هرمزد ديرًا آخر سماهُ دير السيدة (سنة ١٨٥٨) وهو الان مشحون بالرهبان الفاضلين

ومن اعمالهِ الخطيرة انهُ بمساعدة الشماس رافائيل بطرس مازجي الآمدي الكلداني انشأ مدرسة اكليريكيَّة في الموصل واهتمَّ بنجاحها . وارسل بعض التلامذة الى مدرسة البروبغندة ومدرسة الاباء اليسوعيين في غزير ليتخرَّجوا بالعلوم الدينيَّة والدنيويَّة اشهر

---

١) وكان السيد فيلارديل المشار اليهِ قد اتى الموصل فرأى مار نقولاوس ان يُجري باطلاع هذا الزائر الرسولي بعض التدابير اللازمة لترتيب الابرشيَّات والرهبانية الهرمزدية والصلوات الفرضية والاصوام وغير ذلك من الفوائد المفيدة ثم قصد القسطنطينية ونال فرمانًا بلقب بطريرك كلداني . لان كل البطاركة السابقين لهُ حتَّى المتكثلكين منذ عهد مار يوسف الاول كانوا يُعرفون بلقب بطاركة النساطرة تبعًا للقاعدة التي كانت معروفة في قيود دار السعادة الرسميَّة . ولمَّا عاد الى الموصل بنى دارًا بطريركيَّة ورمَّم جانبًا من دير مار كيوركيس المعروف بميوبرا

وفي ايامهِ نُهب دير مار هرمزد بكلّ ما كان فيهِ وأُسر الرهبانُ وحُبسوا فمات كثيرون منهم في اشدّ العذابات نخصُّ منهم القس حنا رئيسهم . وامتدت هذه النائبة الى القوش وكان ذلك سنة ١٨٤١ . وفي السنة التابعة المَّت بالنساطرة داهية دهياء لمَّا دخل العدوّ بلاد التيارية ونهب وسبى واعمل فيهم السيف ففرَّ مار شمعون بطريرك النساطرة الى الموصل فاخذ بناصرهِ المستر رسَّام (ب . ن .)

منهم في خدمة كنيستهم اساقفة وكهنة غيورون. ومن جملتهم غبطة السيد عمانوئيل يوسف توما بطريركنا الجديد (١

ولمَّا توفي يوسف اودو سنة ١٨٧٨ اجتمع الاساقفة في دير السيدة تحت رئاسة الطيّب الذكر القاصد الرسولي السيد لويس ليون رئيس اساقفة دمياط وانتخبوا في ٢٦ تموز سنة ١٨٧٨ بطرس عبو اليونان مطران الجزيرة ودُعي ايليا الثاني عشر. وكان غاية في اللطف والوداعة. ولمَّا كان الشقاق لم يزل ضاربًا اطنابهُ في الموصل ونواحيها. توفّق بحسن تدبيره فاخمد نارهُ تمامًا والقى السلام التام في طائفته سنة ١٨٨٩

وبهمّته فُتحت المدرسة الاكليريكيّة البطريركية بعد ان أُغلقت بسبب الشقاق ووسّع ابنيتها القديمة. ومن هذه المدرسة خرج ولا يزال يخرج كهنة افاضل اشتهر منهم في خدمة الكنيسة استقنان. واول من ترأس عليها بعد فتحها غبطة البطريرك الحالي السيد عمانوئيل (٢. وتوفي البطريرك ايليا عبو اليونان في الموصل في ٢٧ حزيران سنة ١٨٩٤

---

١) قال القس بطرس نصري: « وادَّعى مار يوسف بلاد ملبار بما انها كانت تحت حوزة البطريركية البابلية منذ قديم الزمان وانفذ اليها المطران توما روكس الّا انهُ استدعاهُ بعد ذلك مطاوعةً لامر الكرسي الرسولي. وكان الكرسي الرسولي قد ابرم خير الطائفة الكلدانية وتهذيبها ببعض القوانين المتضمّنة في البراءة التي بدؤها Cum ecclesiastica disciplina . فاظهر مار يوسف نفسهُ مستعدًا لامتثال اوامره. الّا انهُ بعد خروجهِ من المجمع الواتيكاني سنة ١٨٧٠ ومشاهدتهِ الشقاق والفتن والقلاقل التي نشأت بين الطائفة الارمنية بسبب المنشور البابوي الذي اوّلهُ Reversurus وكان الحبر الاعظم رسم فيهِ قوانين شتّى تهذيبية للطائفة المشار اليها كما رسم للكلدان تردَّد في قبول تلك القوانين واسام خلافًا لها اربعة اساقفة وانفذ الى ملبار السيد ايليا ملّوس. وبعد نزاعات ومماحكات طويلة اذعن مار يوسف قبل موتهِ الى مراسيم السدَّة الرسولية واظهر ادلَّة صادقة بتمسكهِ بعروة التعلّق برئيس الاحبار. وقضى نحبهُ في ١٤ آذار سنة ١٨٧٨ بعد ان دبَّر كرسيهُ تسعًا وعشرين سنة ونصفًا ودُفن في دير السيدة بقرب القوش

٢) وزاد القس بطرس نصري على هذه الافادات ما يلي: وُلد البطرك ايليا عبو اليونان في الموصل سنة ١٨٣٩ ورقي الى درجة الكهنوت سنة ١٨٦٤ ثمَّ الى اسقفية الجزيرة في ٢١ ايَّار سنة ١٨٧٥. ونال التثبيت من لدن السدَّة الرسولية والبراءة السلطانية في السنة التابعة. ولم يزل يسعى في جمع قلوب المشاقين المنفصلين في عهد مار يوسف اودو حتى تمَّ الصلح في بدء حزيران سنة ١٨٨٩. وفي ايَّام مار ايليا طبع طقس الصلوات الفرضية الملقَّب بالحوذرا او الدائرة بسعي الاب بدجان اللعازري الخوسراوي الكلداني الاصل. ومن مآثرهِ انهُ رمَّم كنيسة مار ابراهام المادي



غبطة السيد الجليل يوسف عمانوئيل الثاني
بطريرك بابل على الكلدان الكلي الطوبى

ولد غبطتهُ في القوش سنة ١٨٥٢ ودُعي اسمهُ يوسف. وفي السنة السابعة عشرة من عمرهِ سار مع مار يوسف اودو السعيد الذكر اذ كان قاصداً رومية لحضور المجمع الواتيكاني فوضعهُ في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير سنة ١٨٦٩ وبقي هناك مدة عشر سنوات. ثمَّ عاد الى الموصل فرسمهُ مار ايليا عبو اليونان السعيد الذكر كاهناً ثم سامهُ خوريًا واتخذهُ كاتباً لاسرارهِ واستصحبهُ في الاسفار التي باشرها سنة ١٨٨٩ الى اوربة فزارا رومية والاستانة. ولمَّا عاد الخوري يوسف الى الموصل أُسيم مطراناً في ٢٤ تموز سنة ١٨٩٢ وسُمي مار عمانوئيل

وكان انتخابهُ الى السدة البطريركية في اليوم التاسع من شهر تموز سنة ١٩٠٠ وجرت رسامتهُ في ٢٤ تموز سنة ١٩٠٠

والكلدان الكاثوليك الخاضعون لبطاركة بابل ينيفون اليوم على ثمانين الفاً لهم كرسيَّان للبطريرك واحد في الموصل والآخر في بغداد. وللبطريرك ثماني نيابات في البصرة وحلب ودمشق واورفة واطنه وبيروت ومصر وطهران. وثلاثة رؤساء اساقفة كراسيهم في دياربكر وكركوك وارومية (في بلاد العجم) وستَّة اساقفة يقطنون في الجزيرة وسعرت وماردين وزاخو والعمادية وعقرا. واسقفان يسكنان في سلماس وسنا في بلاد العجم

وممَّا يقوي آمال الكلدان ان يحصلوا على الرونق القديم الذي كان عليهِ اجدادهم في سالف الازمان انهم يجدون في اخوانهم النساطرة تقرُّباً الى الاتحاد معهم. ففي هذه السنين اخذوا يوجّهون انظارهم الى كنيسة رومة مركز الايمان الحقيقي. ودخل منهم في حظيرتها سنة ١٨٩٨ نحو خمسين الفاً. وان الذين يسعون بلا ملل وراء هذه الغاية الحميدة حضرة الآباء الدومينيكيين في مار يعقوب وسعرت ووان. وحضرة الآباء اللعازريين في ارومية وخسراوه في بلاد الفرس. وكثير من رهباننا الفاضلين الغيورين في دزاكاور وباز وجولامرك. فنطلب الى إله آبائنا ان يحقق سريعاً آمالنا فيكلل اتعاب هؤلاء المرسلين بالظفر والانتصار والمجد والفخار فيزيل عنَّا الانفصال المشؤوم ويرجع اخوتنا المنفصلين الى الأمّ الحنون الرؤوم. فيعيد طائفتنا الى بهائها القديم المعلوم. وهو رؤوف كريم رحوم. لا يردّ طلبة القلب المكسور المكلوم

في اصل اللغة القبطية وتاريخها

نبذة للاب الكيس مالون اليسوعي

اعلم حفظك الله ان اللغة القبطيَّة هي اللغة الكنسيَّة التي يستعملها الاقباط في طقوس بيعتهم ومناسكهم الدينيَّة وقد كانت هذه اللغة الشريفة في سالف الاعصار لسانًا يتداولهُ جمهور الشعب حتى شاعت في مصر اللغة اليونانيَّة زمنًا طويلًا وعقبتها العربية بعد ذلك فأجهزت على اللغة القبطيَّة ودحرت ما سلم من بقاياها ضمن كنائس الاقباط بل قُل انَّ العربية تعقَّبت آثار القبطيَّة في نفس الكنائس فقامت مقامها في اكثر الصلوات التي نُقلت من القبطيَّة الى العربية ليتمكَّن السامعون من فهم معانيها والتقاط دررها النفيسة اللهم الَّا بعض القطع بقيت في اللغة الاصلية ينشدها الكهنة والشمامسة ولا يدرك معانيها الَّا القليلون

١ في اصل اللغة القبطية

اللغة القبطية بنت اللغة المصريَّة القديمة التي كان يلهج بها في غابر الزمان سكَّان منف وثيبة وبقيَّة انحاء مصر بل لا نكابر الحقَّ اذا قلنا انَّ كلتيهما لغةٌ واحدة وانَّما طرأت على لهجة قدماء المصريين طوارئ الحدثان ولعبت في تراكيبها ايدي الزمان فكان من امرها ما كان وخلفتها اللغة القبطية كفرع نما من دوحتها فصار من بعدها باسق الاغصان ولنا في ذلك مثال نراهُ في لغة اليونان التي قام بدلًا منها لغة حديثة مشتقَّة من لغة الروم الاقدمين فصار لها اليوم التقدُّم بعد ان أُهملت الاولى في زوايا النسيان

وقولنا هذا اصبح اليوم امرًا راهنًا لدى كل علماء العاديَّات المصريَّة الذين يجدون بين اللغتين بعد المقابلة شبهًا واضحًا لا يمكن انكارهُ بعد ان كشف العلَّامة شمپوليون سرَّ الكتابة الهيروغليفيَّة وحلَّ غامض رموزها. بل كانت عقول العلماء قد تنبَّهت لهذا الامر الخطير قبل هذا العهد. واستدلُّوا عليهِ بادلَّة لامعة ارشدتهم الى الحكم الصواب. منها ما ثبت لهم انَّ تلك اللغة القبطيَّة التي بطل اليوم استعمالها كانت ولا شك زاهرةً زاهية في قديم الزمان ينطق بها اجداد الاقباط المحدثين الذين حفظوا الى يومنا آثارها ولولا ان اسلافهم قبل الاسلام استعملوا هذه اللغة لما توارثوها عنهم. هذا ومن

المقرّر الثابت انّ الاقباط من نسل قدماء المصريين الذين غلبهم الاسكندر وملك عليهم البطالسة ثمَّ الرومان ثمَّ العرب. فمن البديه اذن ان لغتهم هي نفس لغة اجدادهم الاوّلين

وزد على هذا البرهان حجّة اخرى وهي التآليف القبطية العديدة التي وقف عليها العلماء في اديرة الصعيد. فوجود هذه المصنَّفات التي يرتقي عهد بعضها الى قرون النصرانية الاولى ينبئ بشيوع اللغة القبطية في مصر بين العامّة اماً في زمن تصنيف هذه الكتب او قبل ما يكون قبل ذلك العهد بزمن قليل لانّ كثرة الكتّاب شاهد صادق على ادراك القرّاء لما يكتبونهُ ولولا انَّ الشعب يفهم اللغة القبطية لما وضع الكتبة التآليف فيها

وممَّا حمل العلماء على الحكم باشتقاق اللغة القبطية من المصريَّة انَّ احد جهابذة العلماء المستشرق الشهير جَبلونسكي عثر في اثناء مطالعاتهِ تآليف قدماء اليونان على عدَّة الفاظ مصريَّة دوَّنها المؤلفون على لفظها الاصلي فخطر على بالهِ ان يقابلها بما يطابق معناها من الالفاظ القبطية المعروفة الى اليوم فوجد انَّ بينهما من المناسبة ما لم يمكن وقوعهُ الّا بين لغتين متشابهتين شبه التمرة بالتمرة

ومذ ذلك الحين اخذ العلماء اللغةَ القبطية كوسيلة يأملون الحصول بها على ادراك الخطّ الهيروغليفي واسرارهِ الدفينة. والحقّ يُقال انَّ العلامة شمپوليون لم يتمكّن من قراءة الكتابة المصريَّة الاولى الّا بالاستعانة باللغة القبطيَّة وذلك انَّهُ لمَّا حاول شرح مضمون الكتابة الشهيرة المنقوشة على حجر رشيد ذات الخطَّين اليوناني والمصري عمد الى احد علماء اللغة القبطية فطلب منهُ ان يترجم لهُ بالقبطية ما كان مرقوماً باليونانيَّة. ثمَّ توصَّل الى ان وقف على حروف اسمي بطلميوس وقلاوفطرا. ثم استعان بما اكتشفهُ من الحروف على المقابلة بين الالفاظ القبطيَّة المترجمة والرسوم المنقوشة على الحجر ولم يزل يكدّ ويسعى بثباتٍ عجيب وذكاء غريب حتى بلغ من تمييز حروف الهجاء وانفكَّت رموز ذلك القلم الذي لقَّبهُ العرب بالقلم المجهول. ومذ ذلك الوقت لاح كضوء النهار ما بين اللغة القبطية ولغة قدماء المصريين من الشبه بل من التواطؤ والوحدة. وقد اجمع العلماء على انَّ اغلب الالفاظ القديمة بقيت في لغة الاقباط المحدثين على لفظها السابق وقد طرأ على بعضها من التغيير الطفيف ما لا يصعب جبرُ صدعهِ وشفاء سقمهِ. وهذا مثال نثبتهُ هنا وهو يتضمَّن اسماء الاعداد :

الاعداد		صورتها في القبطيَّة	لفظها	لفظها في المصريَّة القديمة
واحد	1	ⲟⲩⲁⲓ	واي ouai	وا uâ
اثنان	2	ⲥⲛⲁⲩ	سْناو snaou	سان sen
ثلاثة	3	ϣⲟⲙⲧ	شُمْت chomt	شِمِت chemet
اربعة	4	ϥⲧⲟⲟⲩ	فْتُو ftoou	فْتُو ftu
خمسة	5	ϯⲟⲩ	تِيُو tiou	تُوَا tua
ستَّة	6	ⲥⲟⲟⲩ	سُو soou	ساس sas
سبعة	7	ϣⲁϣϥ	شَشْف chachf	سِشِف sechef
ثمانية	8	ϣⲙⲏⲛ	شِمِن chemen	شِمِنُو chemenu
تسعة	9	ⲯⲓⲧ	بْسِت psit	بِسِت pst
عشرة	10	ⲙⲏⲧ	مِت met	مِث met'
عشرون	20	ϫⲱⲧ	دْجوت djot	طِت t'et
ثلاثون	30	ⲙⲁⲡ	ماپ map	ماب mâb
مئة	100	ϣⲉ	شي ché	سُوا sua
الف	1000	ϣⲟ	شو cho	شا cha

وبوسعنا ان نعدّد الامثال لبيان ما قلناه نحو «سِن» اخ (فهو بالقبطية ⲥⲟⲛ سون) «رين» نحن (ⲣⲁⲛ ران) «تاب» كلّ (ⲛⲓⲃⲉⲛ نيڤن) «را» شمس (ⲣⲏ ري). وفي ما ذكرنا كفاية ليعرف القارئ انَّ القبطية هي اللغة المصريَّة لا تختلف عنها الَّا بصورة حروف الهجاء. مع بعض اعراض خفيفة طرأت على لفظها لكثرة التداول بها

وزد على ما قدَّمنا انَّ اسم «القبط» ذاتهُ مشتقّ من اللغة المصريَّة ويراد بهِ «المصري» فانَّ اصلهُ «ها كا فتاح» اي معبد الاله فتاح وكان هذا الاسم يطلق عند القدماء على مدينة منف لاختصاصها بالاله فتاح. فلمَّا ملك اليونان القطر المصري دعوا سكَّانهُ المصريين باسم عاصمتهم السابقة ونسبوهم اليها فاشتقوا الاسم اليوناني (Αἰγύπτιοι) من «ها كا فتاح» بقلب الفاء اللَّينة «π باء» لوقوعها قبل حرف «τ ت» الشديد وفقاً لقوانين اللغة اليونانية. ثمَّ صار الامر الى العرب فدعوا المصريين قبطاً وقد نقلوا هذا الاسم عن اليونانية بحذف اوَّلهِ

ولكن لا يتوهمنَّ القارئ انَّ الاقباط نقلوا الينا لغة آبائهم بتمامها. لاسيما ان للُّغة القبطية ثلاثة فروع تجد في الواحد منها الفاظًا لا تجدهُ في الآخر

واوَّل هذه الفروع المذكورة الفرع المنفي (dialecte memphitique) دُعيت بذلك لانها شاعت في منف وجهات مصر السُّفلى. وهي تُعرف ايضًا باللغة البحيريَّة نسبةً الى اقاليم البحيرة. وفي هذه اللغة عدَّة الفاظ دخيلة اصلها من اليونانية تغلَّبت عليها لكثرة المعاملات التي دارت بين الاقباط والروم في هذه الناحية

واللغة الثانية هي اللغة الصعيديَّة (d. sahidique) وكانت اسواقها نافقة في جهات الصعيد لاسيما في مدينة ثيبة (الاقصر). والالفاظ اليونانيَّة فيها نادرة

امَّا اللغة الثالثة وهي البشموريَّة (d. bashmourique) فكان المتكلّمون بها اهل الفيوم والمجاورون لبحيرة منزلة. وقد اندثرت رسومها نحو الجيل العاشر وآثارها اليوم قليلة

ففي هذه اللغات الثلاث قد بلغتنا اللغة المصريَّة القديمة. وليست المخطوطات التي وقف عليها العلماء في عصرنا سوى امثلة تصوّر لنا لهجة قدماء المصريين على حسب ما كانت دارجةً في جهات مصر المختلفة الَّا انها كُتبت بحروف حديثة غير الحروف الهيروغليفيَّة

على أنّنا لا نريد ان يستنتج القارئ مما سبق لنا قولهُ انَّ اللغةَ القبطية وفروعها الثلاثة تشتمل على كلّ الالفاظ القديمة. فانَّ هذا مستحيل لاسيَّما أنّنا نعلم ان الاقباط بعد نبذهم عبادة الاوثان وتديّنهم بالنصرانية اهملوا كثيرًا من المفردات المتعلّقة بدينهم القديم وآلهتهم الباطلة. وانَّما قولنا هذا على الاجمال

٣ في اصل الكتابة القبطية

لم يعرف الاقباط غير لغتهم المصريَّة الى عهد الاسكندر ذي القرنين. وكانوا استنبطوا لها علامات خاصَّة لتدوينها بالكتابة. غير انَّ هذه العلامات لم تكن مستعملة بينهم على نسق واحد وقد شاعت عندهم ثلاثة ضروب من الكتابة

فالاولى هي الكتابة الهيروغليفية كانوا يتخذونها للآثار الفخيمة والابنية العمومية وما شاكل ذلك وهي عبارة عن رسوم وتصاوير اصطلاحية تمثّل بافرادها وجمعها معاني كاتبها

والكتابة الثانية هي التي تُعرف بالهيراتية (اي المقدَّسة) اشتقُّوها من الكتابة

السابقة واستعملوها في الكاتبات اليومية لاسيا في امور الدين ومقامات القضاء وكانوا يكتبونها على البردي او البابير (papyrus)

والثالثة هي الكتابة الديموتية اي العاديَّة وهي العامَّة الشائعة بين الجمهور

فلمَّا افتتح الاسكندر القطر المصري وشيَّد مدينة الاسكندريَّة وصار الامر من بعدهِ الى البطالسة اليونان اخذ العلم ينمو ويزهر في ارض الفراعنة لاسيا مصر السفلى حيث قام جمٌّ غفير من ارباب العلوم وائمَّة الآداب حتى انتشرت فيها اللغة اليونانية انتشارًا عجيبًا. امَّا اهل مصر العليا والوسطى فانهم لم يزالوا محافظين على لغة اجدادهم يودعون كنوزها بطون الصحف او يرسمونها على المباني. وبقيت هذه الحال على عهد الرومان دون تغيير يُذكر

وفي تلك الاثناء سطعت انوار الدين المسيحي على العالم باجمعهِ ودخل القديس مرقس تلميذ بطرس هامة الرسل الاقطار المصريَّة فبشَّر فيها بايمان المسيح وردَّ كثيرين عن طريق الشرك والوثنية فما مضى على النصرانية مئة سنة حتى دان بها قومٌ لا يضبطهُ احصاء واتسع نطاقها الى ان بلغت اقصى بلاد الصعيد فنبذ الاقباط اضاليل اجدادهم وسجدوا للالٰه الحقّ. ولمَّا كانت لغة رُسلهم ومبشّريهم هي اليونانية في الغالب اتخذ المتنصرون من الاقباط الحروف اليونانية فاستبدلوا ضروب خطوطهم الثلاثة بهذه الكتابة ودوَّنوا بها لغتهم القديمة مع حرصهم على اصولها

واخصّ الاسباب التي حملت المصريين بعد تنصُّرهم على نفي الكتابة القديمة ما كانوا يعهدونهُ في كتاباتهم من الاشارات الدينية والرموز الوثنية الخفية فاستنكفوا بعد رجوعهم الى الحقّ من استعمال كتابةٍ كانوا يستشفُّون من ورائها خرافات الوثنية. كيف لا وكثير من صور هذه الكتابة القديمة كانت تمثّل معبودات المصريين وكل آيات دينهم الباطل

ووجد النصارى لنبذ كتابتهم السابقة داعيًا آخر حدا بهم الى اتخاذ الحروف اليونانية وذلك انَّ الكتابة العامَّة المستعملة بينهم كانت كثيرة الالتباس عديدة العلامات فلمَّا رأوا ما في الكتابة اليونانية من السهلات وقرب المأخذ عمدوا الى حروفها واهملوا كتابتهم فما لبث مواطنوهم ان فقهوا هذه الكتابة وتعلَّمها صغارهم اللهمَّ الَّا من بقي منهم في الوثنية. ولعلَّ المتوثنين ايضًا وافقوا النصارى على ذلك رغبةً منهم الى تقريب

لغتهم من الاجانب ومن المحتمل ايضاً انَّ ولائهم الرومانيين حملوهم على هذا الامر

وزد على ذلك ان اكثر الاسفار الالهية كانت مكتوبة باليونانية او مترجمة اليها فلم يرَ الاقباط بدًّا من قراءتها . ولمَّا ارادوا نقلها الى لغتهم القبطية وجدوا الفاظاً عديدة لم يعرفوا لها مرادفاً وكانوا لو كتبوها بالحرف القديم اضطرُّوا الى وضع علامات جديدة فآثروا حفظ هذه الالفاظ بحروفها في اللغة التي وردت اليهم بها

على ان الاقباط لمَّا اخذوا الحروف اليونانية لم يجدوا فيها ستة اصوات او لهجات كانت في لغتهم الاصلية فتحتَّم عليهم ان يحفظوا من كتابتهم العامية ستَّة حروف نرسمها هنا مع اصواتها الموافقة لها

صورة الحروف	اسماؤها	اصواتها
ϣ	شاي chai	ش ch
ϥ	فاي phai	ف ph
ϧ ⳉ	خاي khai	خ kh
ϩ	هوري hori	ه h
ϫ	جنجي djendji	ج dj
ϭ	تشيما tchima	... tch

امَّا الحرف ϛ (صو) فهو صورة العدد ٦ . والحرف ϯ مجموع حرفين يونانيين τ، ι وُيلفظ « تِي »

هذه خلاصة لقوال العلماء المتضلّعين في اللغة المصريَّة كواليس بودج (W. Budge) ورڤيليو (Révillout) وبيرون (Perron) و بروغش (Brugsch) الَّا انَّ بعض الاقباط لا يوافقونهم في صادق قولهم وزعموا انَّ الحروف القبطيَّة وضعها احد علماء منف ممن لم يكن لهم سابق معرفة بلغة اليونان وهو مزعم لا سند لهُ بل تدحضهُ لاوَّل وهلة المقابلة بين حروف اللغتين . فلعمري انَّهُ لمن المستحيل ان يتفق رجلان او شعبان على عدد نيِّف وعشرين حرفًا مع ذكر اسمائها وترتيبها وصورها دون تواطؤ ما لم يقل القائل انَّ ذلك صار بوحي من الله ولا حاجة الى المعجزات اذا كانت الاسباب الطبيعيَّة كافية لشرح الامور

امَّا الزمن الذي جرى فيهِ تبديل الحروف القبطيَّة باليونانية فالمرجَّح انَّ ذلك كان

في بدء النصرانية اي اواخر القرن الاوّل او غرَّة الجيل الثاني للمسيح لانَّ الخطوطات السابقة لهذا العهد كلها بالحرف المصري القديم

هذا وفي ما ذكرناهُ عن اصل الكتابة القبطية كفاية فبقي علينا ان نبحث عن تاريخ اللغة القبطية وتآليفها

٣ تاريخ اللغة القبطية

لا ريب في انَّ اوَّل كتاب سُطِر في اللغة القبطية هو الكتاب الكريم. وقد تمَّ هذا العمل الخطير في الجيل الثالث للميلاد على يد نسَّاك الصعيد فنقلوا كلَّ الاسفار المقدَّسة الى لغتهم القبطيَّة بل الى فروعها الثلاثة المذكورة سابقًا لتعمَّ فائدتها جميع الكنائس المصريَّة. ثمَّ صرفوا همَّهم في توفير نسخهِ كما تشهد على ذلك مكتشفات العلماء في جميع انحاء القطر المصري لاسيما في اديرة الصعيد. وعدد هذه الخطوطات المتفرّقة يكفي للحصول على ترجمة كل اقسام التوراة من العهدين القديم والحديث في القبطية هذا فضلًا عمَّا بقي من النسخ العديدة المدفونة في زوايا النسيان. وقد طُبعت التوراة القبطية مرارًا في رومية والمانيا ومصر ومن يتصفَّحها يجدها افضل مثال للُّغة القبطية كما انَّها اكمل واَدقّ مؤلَّفاتهم الادبية

وقد اضاف قدماء الرهبان الى هذا الكنز الثمين تآليف أُخرى قليلة وضعوها في لغتهم الاصلية وهي عبارة عن اعمال بعض الشهداء وتراجم اولياء الله وتواريخ لكنَّهم قد ادخلوا في هذه المصنَّفات من الاقاصيص العجيبة ما يشهد لهم بالولوع في الروايات المستغربة والاحاديث الخرافية

وممَّا ينطق بفضل هؤلاء العباد انهم نقلوا الى القبطية شيئًا كثيرًا من تآليف الآباء اليونان ليستقوا من مناهلها الصافية

هذا وقد وقف حديثًا العلامة الانكليزي بودج على مخطوط يرتقي تصنيفهُ او ترجمتهُ الى القرن السابع وهو يتضمَّن ثلاث عظات ثانية في مدح رئيس الملائكة القديس ميخائيل فالاولى لثاودوسيوس مطران الاسكندريَّة والثانية لساويروس الانطاكي والثالثة لاوستاثيوس وهو من احسن ما كُتب في اللغة القبطية ومن خواصّ انشائهِ الطلاوة والوضوح كما في اللغة اليونانية فتولى مسيو بودج نشرهُ مع ترجمتهِ بالانكليزيَّة والحبشية والعربية

هذا ونضرب صفحاً عن ذكر كتب الطقس القبطي فانَّ معظمها يتألف من نصوص الكتاب المقدَّس امَّا الباقي فهو مجموع صلوات شتى كتبت في ازمنة مختلفة لا يمكن ضبطها بتاريخ قطعي

ولعلَّ سائلًا يسأل وكيف اندثرت آثار تلك اللغة القديمة التي تألقت انوارها في غابر الازمان فجوابنا قول بعض شعراء العصر:

هي اللغات ترى في سيرها غيرًا تبدو فتذكو لحين ثمَّ تنكسفُ
كالنبت يبدو ضئيلًا ثمَّ يعقبهُ زهرٌ وطيبٌ غارٍ ثمَّ ينتصفُ

وكذاك اللغة القبطية فقد اصابها ما اصاب الالسنة القديمة كالعبريَّة والاشوريَّة واللاتينية التي نمت وزهت حينًا ثمَّ عشي ضوءها وانطفأ سراجها. ولمَّا ظهر العرب تحت قيادة عمرو بن العاص فضربوا خيامهم في الفسطاط ثمَّ مدُّوا سيطرتهم على كلّ ارض مصر وجدوا ان اللغة القبطية قد اصابتها اليونانية بجرح بليغ فسلَّطوا عليها لغتهم العربية وهي في عزّتها وتمام نشوئها فلم تلبث ان تذفَّ على الجريح وتجهز عليهِ حتى مات

وذلك انَّ قبائل العرب لم تزل تتوارد زرافات الى مصر بعد الفتح فاضطرَّ الاقباط الى درس اللغة العربية امَّا جبرًا لمطاوعة الولاة وامَّا طوعًا واختيارًا لرغبتهم في معاملة العرب ومتاجرتهم او طمعًا في مشاركتهم باعمال الدواوين والمراتب العليا. ولعلَّ كثيرين منهم اسرعوا الى تعلُّم العربيَّة بغضًا للدولة البوزنطيَّة المالكة عليهم سابقًا بصلف وتجبُّر فما مرَّت ردهةٌ من الدهر حتى شاعت اللغة العربية بين عامَّة المصريين ولم يبقَ لها من اثر في المدن العامرة والقرى الكبيرة. فدُفنت رسومها في بعض الاديرة والقرى البعيدة حيث صبرت على نوائب الزمان بقايا اللغة القبطية الى عهد قريب من عهدنا. والدليل على ذلك ان كثيرين من اهل الصعيد يفهمون حتى اليوم اللغة القبطية وكتبها الطقسية. ونعرف في القاهرة عائلة قبطيَّة لا يتكلَّم لفيف اصحابها بينهم الَّا باللغة القبطيَّة ويستعملون العربية مع سواهم

ولا بُدَّ لنا قبل ختام هذه المقالة الوجيزة ان نستلفت القرَّاء الى منافع درس اللغة القبطية

فالفائدة الاولى تاريخية فانهُ لجديرٌ بابناء الوطن ان يطَّلعوا على ما يكتشفهُ علماء العاديَّات من آثار بلادهم وهي تنبئهم باحوال اجدادهم السابقة

والفائدة الثانية من درس القبطيَّة انَّها كاسبق مفتاحٌ لا غنى عنهُ لمن اراد مطالعة الكتابات الهيروغليفية القديمة وما اشتقَّ منها من الخطوط الهيراتية والعاميَّة. وأَحرِ بابناء الشرق ألَّا يدعوا الاوربيين وحدهم يجمعون هذه الكنوز الثمينة من بلادهم دون ان يأخذوا منها نصيبهم. قال العلامة پيرون في مقدَّمة معجمهِ القبطي اللاتيني: « انَّ قصدنا بوضع هذا المعجم الواسع ليس فقط تسهيل درس القبطية بل ايضًا ارشاد الدارسين الى مطالعة دفائن آداب المصريين الاقدمين فان معرفة اللغة القبطية اقرب وسيلة الى هذه الغاية الشريفة. ولولا خوف الاطالة لأيدنا قولنا هذا بالبراهين المقنعة وبيَّنَّا جهل من ينكرهُ. واقوى دليل على ذلك انَّ معنى الالفاظ الهيروغليفيَّة يبقى مبهمًا ملتبسًا الى ان يُزيل شبهتهُ اللفظ القبطي لان الكتابة الهيروغليفية لا ترسم في الغالب غير الحروف الصحيحة (كالعربية اذا جُرِّدت من حروف العلة والحركات) فيمكن ان تُقرأ الكلمة الواحدة على طرق مختلفة مثال ذلك حرفا ⲛϫ (نج) اذا وجدتهما بالحروف الهيروغليفية لا يمكنك ان تقضي بمعناهما الصحيح الَّا ان تراجع في المعجم القبطي تركيبهما مع حروف العلة ومعانيهما المختلفة فتجد ⲛⲁϫ (ناج) و ⲛⲉϫ (نَيج) و ⲛⲏϫ (نِيج) و ⲛⲟϫ (نَوج) و ⲛⲱϫ (نُوج) فتختار ما يوافق القرينة

هذه نبذة وجيزة كتبناها لافادة الشرقيين وغاية ما نتمنَّاهُ ان تبعث فيهم لاسيما الاقباط نشاطًا جديدًا لدرس لغة شريفة انكبينا نحن ايضًا على درسها حبًا بخيرهم

القضاء والقدر

نظرٌ فلسفي للاب لويس شيخو اليسوعي

صدق الهلال (ع ٢٠: ٦٤٧) اذ كتب في مقدَّمة مقالتهِ عن القضاء والقدر انَّ « لعلماء الكلام وغيرهم ابحاثًا طويلة ومناظرات عنيفة في تعريف القضاء والقدر وهم لا يزالون في مثل ذلك الى اليوم » ويا ليت كاتب هذه الاسطر مع علمهِ بحرج المقام تحاشى ركض جوادهِ في ميدان لم يثبت فيهِ قدم الفطاحل من قبلهِ. وكنَّا وددنا نحن ايضًا ان نحايد هذه المسئلة وفيها مظنَّة عثار لو لم يحوجنا الى ذلك صاحب الهلال وهو قد دسَّ في كلامهِ مبادئ تفتح للشرّ والفساد بابًا رحبًا ولعلَّهُ لم يفعل ذلك عمدًا الَّا انَّ

القراء لا يحكمون على النيّات بل على ظاهر منطوق المعنى

هذا وليس مرادنا هنا ان نتعقّب آثار الهلال في كل ما كتبهُ ونفرز بين صحيح قوله وسقيمهِ فانَّ ذلك يقتضي مجلدًا بل مجلدات ضخمة لما المع اليهِ جناب الكاتب من المباحث العديدة في مطاوي مقالتهِ وانَّما نكتفي بتدوين اصدق ما جاء في كتب الفلاسفة عن القضاء والقدر وتطبيق ذلك على منطوق العقل ثم نتخطَّى منهُ الى بيان ما شطَّ فيهِ الهلال

تعريف القضاء والقدر والعناية والتدبير

القضاء اسم مصدر لقولك قضى الامر اذا حكم فيهِ وفصل. وهو في عرف اهل الكلام الحكم الفصل الذي حكم بهِ الله عزَّ وجلَّ منذ الابد في كلّ مخلوقاتهِ وجميع اعمالها على مقتضى طبائعها. واليهِ يرجع تعريف الجرجاني حيث قال انَّ « القضاء عبارة عن الحكم الكلّي الالهي في اعيان الموجودات على ما هي عليهِ من الاحوال الجارية في الازل الى الابد »

امَّا القدر فهو ترتيب الله للعلل الثانية وسَوقهُ ايَّاها الى المعلولات المقصودة منهُ تبارك وتعالى فيحصل من ذلك ان في القدر امرَين احدهما ترتيب العالم الثانية من حيث وجودهِ في الله ويقال لهُ العناية وهو بهذا الاعتبار ازلي كالذات الالهية. والامر الآخر هو سَوق هذا الترتيب الازلي وتنفيذهُ في المخلوقات بحيث تُوجَّه جميعها في اوقاتها الى الغاية القصوى وهو من هذا القبيل زماني ويدعى تدبيرًا

تقرير المبادئ الفلسفية في هذه المادَّة (١

المبدأ الاول لمَّا كان الله عزَّ وجلَّ هو العلة الاولى لكل المخلوقات فمن المستحيل ان يحدث شيء في العالم بغير قضاء التدبير الالهي. قال الغزالي: ليس من شيء في العالم قليل او كثير صغير او كبير زيادة او نُقصان راحة او نصب صحَّة او وصب الّا بحكمتهِ تعالى وتدبيرهِ ومشيئتهِ.. ما شاء كان وما لا يشاء لا يكون ولا يردُّ مشيئتهُ شيء.. وجاء في سفر استير (١٣: ٩): « ايها الرب القادر على كل شيء كلُّ شيء في طاعتك وليس من يقاوم مشيئتك »

١) راجع الخلاصة اللاهوتية لمار توما. ترجمة السيد المفضال المطران بولس عوّاد (١: ٢٩٢ و ٢: ٥٨٥ و ٣: ١٢١) وفي هذه الفصول يبحث شمس المدارس عن عناية الله وتدبيرهِ وعن القضاء والقدر

المبدأ الثاني — انَّ الله ازلي كما انَّهُ هو العلة الاولى. فاذا قضى بامرٍ وقدَّرهُ فذلك القضاء والتقدير يكون بلا شكٍّ منذ الازل ولا يمكن ان يحدث فيه تغيير البتة

المبدأ الثالث — انَّ الله مع كونهِ العلة الاولى للكائنات والقاضي باعمالها فهو ليس بالعلة الوحيدة بل اتَّخذ في المخلوقات عللًا ثانيــة عديدة لها آثار عجيبة تبرزها تحت قيادة الله وتدبيرهِ السامي. قال الشيخ محمد البكري الصديقيّ:

لا تنظرنَّ لغير الله في سببٍ فانَّهُ يفعـلُ والاسبابُ آلاتُ
لله في الخَلْق ألطاف لقد خفيتْ تحارُ فيهـا العقول الجوهريَّاتُ

المبدأ الرابع — ولمَّا كانت المخلوقات منها ناطقة حرَّة بالارادة ومنها غير ناطقة فلا بُدَّ انَّ يدبّر كلَّ مخلوق حسب طبيعتهِ

المبدأ الخامس — المخلوقات غير الناطقة لا تدرك الغاية ولا ما يأتيها الى الغاية لخلوّها من العقــل ومن ثمَّ فقد اقتضى الامر ان يرشدها الخالق الى افعالها سواءٌ كان ذلك بخواصّها الطبيعيَّة اذا كانت من الجماد والنبات او بمشاعرهــا الخمسة وقوَّتها الوهمية اذا كانت من العجماوات والبهائم

المبدأ السادس — امَّا المخلوقات الناطقة التي زيَّنهــا الله بقوَّتي العقل والارادة فانَّهُ عزَّ وجلَّ مع كونهِ يحرّكها اجمالًا الى طلب السعادة ويساعدها في ابراز كلّ افعالها لا يدفعها اضطرارًا الى العمل او الحَيْدة عنهُ ولا يقسرها على اصطناع امرٍ دون غيرهِ وانما الارادة بناءً على القوَّة الممنوحة للانسان منهُ تعالى تحرّك ذاتهــا من تلقاء نفسهــا ويمكنها ان تنزع الى الشيء او ترعوي عنهُ وتطلب امرًا من الامور او تختار غيرهُ على حدٍّ سواء

المبدأ السابع — اذا نزع الانسان بحرّيتهِ الى ما فيه رضى خالقهِ استحقَّ بفعلهِ ثوابًا يجازيهِ الله عنهُ. واذا عدل عن طريقة الصلاح الى ما فيه سخط الخالق استوجب العقاب على ما اجترحت يداهُ من الشرّ

المبدأ الثامن — هــذا وانَّ الله مع حرّيَّة الانسان التامَّة في اختيار الامور عالم حقَّ العلم بما سيصنعهُ العبــد وليس في سابق علمهِ تعالى ما يضطرّ العبد على الفعــل كما انَّ علمي السابق بما سيأتيهِ بعض اصدقائي لا يعيق حرّيَّة هذا

الصديق . وهَبْ انَّ ارادة العبد اختارت عكس ما اختارتهُ لكان الله سبق وعلم ذلك علمًا لا ريب فيه لاسيما أنهُ تعالى يعرف الانسان فوق معرفة الانسان لنفسهِ ولا يجهل شيئًا من طباعهِ واميالهِ والاحوال التي سيتقلَّب فيها

التائج المتفرّعة من المبادئ السابقة

هذه المبادئ الثانية تحتوي خلاصة ما يمكن اثباتهُ عن قضاء الله وتقديرهِ للامور دون مس حرّيَّة الانسان فمن ركن اليها نجا من ضلالين عظيمين: ضلال الزنادقة الذين ينكرون على الله سبحانهُ وتعالى السلطان المطلق في الكون والعناية التامَّة بكل المخلوقات وتدبيرها كما يشاء. وضلال الجبريَّة الذين ينفون الفعل عن البشر ويضيفونهُ الى الخالق دون المخلوق فيكون الله على زعمهم الباطل هو عامل الخير والشرّ بواسطة العبد. تعالى الله عمَّا يقولهُ الكافرون

وما قلناهُ عن قضاء الله وحرّيَّة الانسان لا تناقض فيهِ لأنهُ عزَّ اسمهُ لم يقضِ بوجود كلّ الكائنات واعمالها حتى قضى ايضًا بحرّيَّة الانسان فيميل دون اضطرار الى الخير او الشرّ. وذلك بكلّ حكمة لانَّ الله اراد ان يخلق في الكون طبيعةً تسعى في خدمتهِ طوعًا لا قسرًا لينال بذلك مجدًا لم ينَلهُ من الطبيعة لو اضطرَّها الى العمل خيرًا كان او شرًّا

والعقل السليم يفتي بتوافق هذين الامرَين فانَّهُ يبيّن صريحًا انَّ احكام الله لازبة لا مردَّ لها وانَّ الانسان مع ذلك سيّد عملهِ يتصرَّف فيهِ كيف شاء. وانَّ القدر لا يحوجهُ على اتيان خير او شرّ ولذلك ترى الانسان اذا عمل الصلاح فرح بصنع يديهِ وان ترع الى الطلاح لا يلوم الّا نفسهُ

وهذا الامر لا يصحُّ فقط في اختيار الانسان للخير او الشرّ لكن في امور اخرى كثيرة يمكنهُ ان يتصرَّف فيها تصرُّف الرجل الحكيم الفطن او تصرُّف الجاهل فاذا آثر الجهل على الحكمة ونتج عن فعلهِ نتائج سيئة فلا ينسب ذلك الى القدر الّا ظلمًا. قال الشاعر:

وعاجز الرأي مضياع لفرصتهِ حتَّى اذا فات امرٌ عاتب القَدرا

وهذه امثلة نضربها لك من شأنها ان تكشف جليًّا عن الحقيقة. دونك مريضين مصابين بالطاعون يرضى الواحد ان يطعَّم بلقاح يرسين فيشفى والآخر يأبى اللقاح فيموت

أفيقال ان الموت كان مقدرًا للثاني دون الاول أو ليس الكل ينسبون الى تهامل الثاني سبب موته. او خذ رجلين تاجرين يركن احدهما الى الدعة والراحة فيفتقر ويتضوّر جوعاً ويسعى الآخر بطلب رزقه فيحصل على الغنى أفيستطيع الاوّل ان يقول أنهُ قُدر لهُ الغنى والثاني قُدر لهُ الفقر. او ليس الاحرى ان ينسب الغنى لجدّ الاوّل والفقر لغفلة الثاني. وقس على هذين المثلين

وما يشهد بصحّته العقل يؤيده اتفاق كلّ الشعوب التي وضعت سنناً لعقاب الآثم فان كان الله هو قدّر هذه الاعمال فحمل عليها اصحابها دون ارادتهم أفليست هذه السنن جائرة ظالمة

بل كيف يستطيع الله ان ينهى عن امور قدّرها منذ الازل ولا مناص للانسان من اجتراحها. وان عاقب الانسان بذنوب اتاها اضطرارًا أليس الله ظالماً بل هو أولى بالعقاب من العبد. وكلّ هذه النتائج السيئة لا يقولها غير الملحدين الكفرة صان الله العالم من شرّهم. ومصداقاً على قولنا نأتي هنا بكلمة حسنة وردت في كتاب المخلاة لبهاء الدين العاملي (ص ٧) قالها علي بن ابي طالب وكان سُئل عن القضاء والقدر فاجاب: ان كانت المعصية حتماً كانت العقوبة ظلماً

خطأ الهلال

فبعد هذه المقدّمات لا يصعب علينا ان نبيّن ما وهم به صاحب الهلال. ورأينا في مقالته اجمالاً انها مشحونة بالمزاعم المتضاربة والاقوال المتباينة التي تدلّ صريحاً على انهُ اطلق عنان قلمه في مادّة لم يدرك مغاضلها

واوّل ما نأخذهُ على كاتب هذه المقالة انهُ استعمل في مدارج كلامه لفظتي القضاء والقدر بمعاني مختلفة فتارةً يأخذها بمعنى حكم الله في خلقه وتارة بمعنى علم الخالق باعمال المخلوقات وحيناً يريد بهما الحوادث الطبيعيّة التي ليس للانسان فيها امر او تأثير وطورًا يفهم بهما اعمال البشر الصادرة باختيارهم وآونةً يقصد اعمالهم الاختياريّة في السبب وغير الاختياريّة في النتائج. فكيف لا يزيغ عن الصواب من يخبط هذا الخبط ولا يميّز بين امور تختلف عن بعضها اختلاف الشارق عن الغارب

ونأخذ ثانياً على صاحب الهلال أنهُ نكر على الله سبحانهُ وتعالى القضاء والعناية في امور كثيرة. وهو لعمري قولٌ لا يأتي به غير الملحدين. من ذلك انهُ نفى (ص٦٥٤

و ٦٥٥) كون التربية والتهذيب واعمال العقل واقعة تحت قضاء الله وتقديره . وهو قول شطط يردُّهُ المبدأ الاول الذي قدَّمناهُ حيث قلنا انهُ لا شيء في العالم عن حكم الله وقضائه . فما معنى قول صاحب الهلال بعد ذلك (ص٦٥٤): « بانها (اي التربية) ليست عاملاً خارجيًا . . بل هي من اعمال العقل وتكاد تكون اختياريَّة . . . وانها ليست من العوامل الازليَّة التي يصحّ ان يقال عن نتائجها ازليَّة بل هي مقاومة لتلك العوامل » ثم شرح ما يريد بالتربية فقال (ص٦٥٥): « ونريد بالتربية كلَّ الوسائل المؤدية الى اصلاح شؤون الهيأة الاجتماعيَّة . . . اهمّها التعليم بانواعهِ كالتعليم الطبيعيّ والدينيّ والادبيّ والسياسي . . . ووضع الشرائع . . والتدريب على الصنائع . . . وغيرها »

فان اراد كاتب الهلال من هذا القول السابق انَّ الانسان بناء على ما آتاهُ الله من الحريَّة يمكنهُ ان يتصرَّف بكثير من اعمالهِ وانهُ ليس مجبورًا عليها فهذا امرٌ يسلّم فيهِ كل اصحاب الاديان والعقلاء . ولكن كيف يخرج ذلك عن قضاء الله وحكمهِ . فان لم يقضِ الله بكلّ ذلك ويدبّرهُ بعنايتهِ الصمدانيَّة لما استطاع الانسان ان يأتي بعمل من هذه الاعمال

ونلوم ثالثًا صاحب الهلال على ما هو افظع ممَّا تقدَّم وهو انهُ انكر المسؤوليَّة على الانسان في امور كثيرة مع انَّ تبعاتها تلزمهُ لا محالة فقال سامحهُ الله في ما يرثهُ الولد من والديهِ (ص٦٥٣) انَّ الولد « منذ ولادتهِ قد قُدّر لهُ ان يكون كما تقتضيهِ الخصال التي ورثها من والديهِ . . . وهو منذ وُلد من ذينك الوالدين مقدَّر لهُ ان يكون كذلك وعبثًا يحاول تغيير خالقهِ »

ثمَّ زاد في الطين بلَّة حيث كتب: « ومثل ذلك يقال في من ورث من والديهِ الطمع او الشره او الكذب مع ضعف الارادة فشبَّ لصًّا او مقامرًا او سكّيرًا او قاتلًا فانَّ حالهُ تكون مقدَّرة منذ ولادتهِ ولا ذنب لهُ في هذه ولا فضل لهُ في تلك (يريد الذكاء والنشاط وعلوّ الهمَّة) »

وكذلك نسب (ص٦٥٤) الى الاقاليم امورًا كثيرة زعم انَّ ليس تبعةٌ للانسان فيها لانَّ الانسان صنيعة الاقاليم

فيا لله من هذه الاقوال الفاسدة التي تفتح بابًا لكلّ المظالم وتبطل كل السنن الالهية والشرائع البشريَّة فترى اي قاتل لا يمكنهُ ان يدَّعي بانهُ كان مدفوعًا الى القتل

« لا ذنب لهُ فيهِ » لانهُ اكتسب ذلك بالوراثة من والديهِ او لتأثير الاقاليم في اعصابه ودماغهِ . أفيرضى صاحب الهلال بمثل هذا العذر ان ضربهُ (لا سمح الله) رجل بمديةٍ في صدرهِ ؟ ولو اتخذ حكماً فهل يا تُرى يُطلق سبيل من يذكّي نفسهُ بهذه الحجج ؟

هذا ولا ننكر انَّ للوراثة والمزاج والاقليم والتربية بعضَ التأثير في الاعمال ولكن هيهات ان يكون ذلك كافياً لدفع التبعات ما لم يكن صاحبها فقد الشعور واختلّ عقلهُ . امَّا في غير هذه الحال فلا

ثمَّ انَّ للوراثة والمزاج والاقاليم والتربية ما يبطل فعلها السيّئ وقد جعل الله دواء لهذه الادواء . فانَّ في نعمة الله وحبهِ تعالى وفي اقامة الصلاة والخوف من العقاب الزمنيّ والابدي والرجاء في الثواب والرجوع الى حكم العقل وصرف النظر الى الهمم العالية ما يغلب هذه الاميال ولو افترضنا ان الانسان اكتسبها بالوراثة والمزاج والاقليم . والدليل على ذلك انَّنا نرى اولاداً صالحين وُلدوا من آباء اشرار ويُعكس . ومن امثال العامّة « الوردة خلّفت شوكة والشوكة خلّفت وردة » وكذلك نرى في اقليم واحد رجالاً مختلفي الطباع منهم اصحاب فضل وغيرهم سفلة اوباش . وكذا قل عن المزاج والتربية

ولو تروَّى كاتب هذه الاقوال قبل تسطيرها لرأى انها تنفي ما كتبهُ قبل ذلك حيث قال :

« واعمال الارادة ابعد سائر الحوادث الانسانية عن حكم التقدير . لانهُ كيف اذا سرق احدهم مالاً من آخر ان يكون عملهُ مقدَّرًا منذ الازل او اذا قتل احدٌ احداً او ارتكب جريمة اخرى من اي نوع او انغمس في الرذائل كالسكر او القمار او الفحشاء او انقطع الى الفضائل . . . »

فهذا القول ينقض توًّا ما قالهُ صاحب الهلال سابقاً عن الوراثة والاقليم كأنَّ الوراثة والاقليم ينزعان عن الانسان حرّيتهُ

وفي مقالة الهلال عن القضاء والقدر مغامز اخرى لا يسعنا اليوم تفنيدها لضيق المكان . وفي ما كتبنا شاهد صريح على تفريط كاتب هذه النبذة . ارشدنا الله وايَّاهُ الى القول الحقّ

ليلة الاهوال

معرّبة عن الافرنسية بقلم شاكر افندي ابي ناضر (تابع لما سبق)

وضرب النائم صاحب الفندق ثلاث ضربات ارتجَّ التختُ منها فوقعت على جثة باردةٍ وهو يظنّ انَّهُ يضرب حيًّا

فعلم اوانئذٍ الفتى الخطر العظيم الذي كان متعرّضًا لهُ وسمع في تلك الاثناء قائلًا يقول: «أ اجهزت عليهِ» وكان القائل امرأة صاحب الفندق نفسها وكانت واقفة في الباب تنظر بعلها الذي اجابها وقال: «نعم اجهزتُ عليهِ» ثمَّ نكص مفتخرًا بأنَّهُ اتقن الطعن من برهة فصار ضربهُ صائبًا محكمًا

ثمَّ اردف: «ان هذا الفتى قضى ولم يبدِ حراكًا كأنَّهُ نعجة وديعة. امَّا السابق فكان قادرًا وقاومني مقاومة شديدة واتعبني امرهُ. غير انهُ ما لنا وهذا الحديث ولنسرْ على مهل بغير صوت فان امر الضيف الثاني يهمُّنا ايضًا فاذا ما اجهزتُ عليهِ اعود ويعود معي الخادم فترفع فريسة اليوم وفريسة البارحة التي لا بدَّ ان تكون ضجرت في محلّها».

قال وضرب برجلهِ الى جهة الفراش فسرَّ ساعد الفتى الذي اوشك ان يُقضى عليهِ من شدَّة الخوف ولبث وقد خمدت انفاسهُ كأنَّهُ قطعة من جماد لانهُ لو حانت من اللص التفاتة الى ما تحت الفراش او لو سنح لهُ ان يرى فريستهُ لكان قضى على الفتى لا محالة لكنَّ الله وقى اليتيم الذي صلَّى اليهِ فاستجاب صلاتهُ

ثمَّ انَّ المرأة دعت حينئذٍ بعلها وقالت لهُ: «لا تُضع الوقت بالمحال فانهُ يهمني ان استحوذ على كيس الدراهم والدنانير ومن الفطنة والحكمة ان نتمَّ الامر الآن مرة واحدة ولا نعود اليهِ غير مرَّة» قالت هذا وتقدَّمت الى الامام فتبعها بعلها وصارا يمشيان هَنئًا على رؤوس الاصابع حتى لا يحسّ بهما كاتب السجلات وهما طمعان في طلّ دمهِ والاستيلاء على ما يحملهُ من المال غنيمة باردة

امَّا الفتى فخرج من الوكنة التي كان مختبئًا فيها ونهض على الاقدام مذعورًا والقى بنفسهِ الى المنفذ المحكي عنهُ ومنهُ وثب الى فناء الدار وثبة واحدة وهو خافق القلب ضائع اللبّ كأنَّهُ مختلّ الشعور فوقع على مزبلة هناك

غير ان الكلاب أوجست فيما سمعت من صوت سقوطهِ فطفقت تنبح نباحًا دلّ

على هربهِ وانهزامهِ فارتعب المسكين وظنَّ انَّ الكلاب ستفترسهُ حيًا لا محالة وتوهَّم ان ملاك الموت لاقاهُ حينئذٍ وانقضت انفاسهُ المعدودة وتصرَّمت حبالهُ المشدودة. وقال: « هذا هو القدر المحتوم قد حلَّ الاجل وخاب الامل » واغمض جفنيهِ مليًا دعوة رسول الموت

لكنَّهُ لم يلبث ان استولت عليهِ الحيرة والعجب عندما رأى ان النبـاح انقطع انقطاعًا تامًا وتلاهُ سكون وسكوت قويت بهمـا الوحشة في ذلك الليل الدامس. وما زادهُ انذهالًا انَّهُ رأى الكلب الذي هجم عليهِ ليرديهُ انقلب يتحبَّب اليهِ بلحس يديهِ وما كان ذلك الكلاب غير « دارا » فانها عرفت محاميها فانتهزت هذه الفرصة حتى تفيهُ حقَّهُ من الشكر على معروفهِ لما سبق منهُ من الحنان لها والشفقة عليها مساء امس لمَّا فعلت ما فعلت من خطف الرغيف الذي لم يزل طعمـهُ تحت اضراسها. امَّا الفتى فسكن جأشهُ قليلًا واخذ يخطو وهو لا يدري الجهة التي يسير فيهـا حتى اهتدى الى باب الدار الذي كان يطوف فيهِ

فتملَّص منهُ الى الزريبة وعمد الى بابها المؤدي الى الخارج ثمَّ حاول ان يفتحهُ واذا بصاحب الفندق منتصبًا امامهُ وفي يدهِ مصباح. فانَّهُ ما سمع نباح الكلب حتى خامرهُ وداخلهُ الخوف فاقبل مهرولًا الى الزريبة بينما كان الفتى مشغولًا يطلب من الله ان يهديهِ الى الموصدة فيفتح باب الفرج امامهُ. فلمَّا رأى اللصَّ الفتى وهو كالمجنون من الانكماش والتلاشي ولونـهُ اصفر كالشمع وهو ساند ظهرهُ الى الحائط ملصوق بهِ وفرائصهُ ترتعد من شدَّة ما المَّ بهِ من الرعب كانهُ في هذه الحالة شبحٌ او طيف خارج من القبور عرفهُ انهُ هو الفتى الذي ضربهُ بخنجرهِ قبيل ذلك ببرهةٍ وجيزة ارتدَّ الى الوراء عفوًا وقد انفتح فوهُ واندلع لسـانهُ من الهلع وترك المصباح فسقط من يدهِ ورجع يركض الى الردهة الكبرى معتقـدًا انَّ الفتى نُشر بعد الموت وعاد بعد الفوت. والفتى مع ذلك عامل على فتح الباب وقد تجدَّدت فيهِ القوى ولم يبرح يعالجهُ حتى نجح وفاز بمطلوبهِ

فلمَّا خلا لهُ الجوّ لبث برهةً مترددًا بين اختيار الهرب او الاختفاء. فقال في نفسهِ: « ان صاحب الفندق يتعقَّبني اينما ذهبت فيدركني فالرأي عندي ان اختفي في احدى الزوايا والحُفَر عوضًا عن ان اخبط في هذا المهمه القفر خبط عشواء »

قال هـذا ورمى بنفسهِ على كداديس متراكمة بعضها فوق بعض على مقربةٍ من

تلك الخرابات ظنًا منهُ انهُ لا يخطر على بال احد اختفاؤهُ في محلّ مجاور لمحلّ الفاجعة ألا وهو ذلك الفندق المشؤوم

وما كان من صاحب الفندق انهُ ذهب فقصّ رؤياه على امرأته ففهمتها الامر واخذت تقدح زناد الفكر للوصول الى ما تتلافى بهِ الخطب فتخلص من وقوع مكروه تخافهُ خوفًا عظيمًا. ولذلك صعدت عجلى فدخلت حجرة الفتى ولم يَفتها بعد النظر انّ الفتى ولّى الادبار راكبًا مطيّة الظلمة في ذلك الليل الداجي ولم يخفَ عليها ما احتالهُ لنفسهِ حتى تمكّن من الفرار وخلّى الدار تنعي من بناها

فثار ثائرها وهاج هائجها وصاحت ببعلها ان يتعقّبهُ في الحال والّا حبطت المساعي وخابت الآمال واتسع الخرق على الراقع اذ تدري بهما الحكومة

امّا بعلها فرأى ان الدائرة تدور عليهِ وقد تضرّم واحتدم لما ابداهُ الفتى من الخديعة واقسم ان « والله لألقينّ القبض عليهِ حيًا كان او ميتًا »

ثمّ لاح لهُ انّ الفتى قطع مسافة بعيــدة مولّيًا الادبار عن تلك الديار ولم يعلم ان بينهما قاب قوسين او ادنى وقد شرع يحضّ الكلبين على تأثُّر اعقابهِ حتى يدرك منـهُ الوطر والّا اوسعهما ضربًا . امّا « دارا » فعصت امرهُ ولم تلبِّ طلبهُ وقد سمعها الفتى وهي تُعلي اصوات الشكوى تحت ضربات العصي الّا انّ صاحب الفندق تركها وصاح يدعو « ملّور » وقال « لم اذخرهُ الّا لمثل هذه الشدّة » وانتهر الخادم وامرهُ ان يحلّ ملّور من وثاقهِ ويدفعهُ وراء الفتى الهارب

فلمّا سمع الفتى باسم « ملّور » دبّ الرعب في بدنهِ اذ ذكر الكلب الضاري الذي حدّثهُ عنهُ صاحبا الفندق في اثناء تلك المسامرة وقالا عنـهُ انهما لا يكلّفان عنانهُ الّا للملّمات الامور والشدائد فندم على ترجيحهِ الاختباء على الادبار وقام يعدو عدوًا عنيفًا وهو لا يلوي على شيء حتى اعياهُ امرهُ وخارت قواهُ وشعر بالم في خاصرتهِ لم يقوَ معهُ على التقـدُّم فوقف واسند ظهرهُ الى شجرة هناك وقد استولى على قلبهِ الحزن الشديد وكادت تزهق نفسهُ من التعب

ثمّ رأى وهو في هذه الحالة ضوء مصباح يتقرّب اليهِ . فعلم الفتى ان الكلب لحقهُ على الاثر وانهُ كيفما اتّجهُ هالك لا مناص لهُ من الموت الاحمر

فاظهر من الضعف قوّة وجدّ في الهرب مرّة ثانية

غير انهُ لم يقطع مسافة بعيدة حتى صرخ صرخة عظيمة وسقط في خندق حُفر في طريقهِ سقطة ميتٍ فما رأى نفسهُ بعد ذلك الَّا مطروحاً على المهيع العام وقد دنا الكلب اليهِ هو واصحابهُ وكاد يفترسهُ واذا بضربةٍ حلّت على امّ رأس مأور فانطرح على الحضيض يخبط حتى خمدت انفاسهُ (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

CHRONIQUE DE MICHEL LE SYRIEN

éditée pour la 1re fois et traduite en français

par J. B. Chabot I, (fasc. 1) pp. 202. 1899 *Paris*

ܟܬܒܐ ܕܡܟܬܒܢܘܬ ܙܒܢܐ ܕܡܝܟܐܝܠ ܦܛܪܝܪܟܐ ܪܒܐ

هو التاريخ النفيس بل الدرَّة المكنونة التي عرَف بها العلماء المستشرقين غبطةُ السيد العلامة الجليل اغناطيوس افرام الرحماني بطريرك السريان الكاثوليك منذ عشر سنوات. ولمَّا سرنا الى بلاد ما بين النهرين سنة ١٨٩٦ مررنا في مدينة الرها في غاية ايلول فوجدنا هنالك في بيعة اليعاقبة النسخة الوحيدة التي تُعرف لهذا الكتاب الفريد وهو تاريخ بطريرك اليعاقبة ميخائيل المعروف بالكبير الذي تولّى رئاسة طائفتهِ من سنة ١١٦٦ الى ١١٩٩ فكنَّا نتمنَّى مذ ذاك الحين لو يُنشر قريباً هذا الاثر الخطير بالطبع ليستمدَّ العلماء من فوائدهِ الجمَّة. وها نذا قد متَّعنا الله اليوم بما كنَّا راغبين اليهِ فاطَّلعنا على الجزء الاول من هذا التأليف الاثير. امَّا الواقف على طبعهِ فهو العلامة الهمام والخوري الفرنسويّ المستشرق الاب حنَّا شابو الذي تكرَّر عليهِ الثناء في مجلَّتنا لكثرة الخدم التي يؤديها للعلوم الشرقيَّة. والجزء المذكور يتضمَّن متن الكتاب وفيهِ اخبار العالم من اوَّل الخليقة الى تاريخ الاسكندر ذي القرنين. وفي هامش الكتاب وذيلهِ فوائد كثيرة وجداول تاريخيَّة زيَّن بها المؤلف عملهُ. ولمَّا كان طبع هذا الكتاب بالحروف المنفردة يُضيع شيئاً من خواصّهِ آثر ناشر الكتاب ان يطبعهُ مرسوماً بالفوتغرافيَّة كما هو في الاصل فزاد ذلك في محاسنهِ. ومما يستوجب الشكر انهُ شفعهُ بترجمة افرنسية غاية في الضبط مع ملاحظات شتى تُنبئ بسعة علمهِ. ومع ما يحتويهِ هذا الجزء من الفوائد فهو دون الاجزاء التابعة جدوى. فعسانا نحظى عمَّا قليل بهذه الاقسام المشتملة على كثير من اخبار النصارى في الشرق منذ القرون الاولى للميلاد الى زمن المؤلف وهو

قد نُقل عن تواريخ قديمة اخذت قسماً منها يد الضياع

الإعراب عن قواعد لغة الاعراب

الجزء الاول في الصرف لرشيد افندي عطيّه اللبناني · ص ٢٢٠ · ببعبدا ١٩٠٠

قال مؤلف هذا الكتاب في مقدّمته (ص ٢):

« انَّ بعض الاصدقاء من الاساتذة سألوهُ تأليف كتاب يقرّب الطالب اصول اللغة من صرفها ونحوها وبيانها وعروضها يغنيهِ عن مطوّلات هـذه الفنون . . . بحيث يكون جامعاً مانعاً خالياً من الاسهاب المملّ والتقصير المخلّ . . . فلم يعد في وسعهِ الّا الامتثال واجابة السؤال فحسر عن ساعد الجد وجمع من الكتب العربية ما استعان بهِ على تأليف هذا الكتاب النفيس . . . بحيث جاء والحمد لله كتاباً مفيداً لكلّ من اراد الجولان في حلبة هذا الميدان كاشفاً النقاب عن هذا اللسان متضمناً كلّ ما يلزم المبتدئ غير مقصّر عن افادة المنتهي . . . »

هذا ما وصف بهِ صاحب الكتاب تأليفهُ فلا يبقى لنا سوى ان نصادق على قولهِ وصاحب البيت ادرى بما فيهِ . ولولا علمنا بان المؤلف يتمعض من الانتقاد على ما جادت بهِ قريحتهُ (راجع المشرق ٢ : ٥٧١ و ٦٢٠) لتجاسرنا وعرضنا عليـه بعض الملاحظات لكنَّا رأينا السكوت احمد (١ ل.ش

شذرات

* بثة علماء الالمان في بعلبك * اجتمعنا بجناب الفاضل ميخائيل افندي الوف فافادنا

---

١) انَّ بعض ادباء بلادنا اذا عرضوا تآليفهم على الجرائد والمجلات لا ينتظرون منهـا الّا تقريظاً . وكبار العلماء الاوربيين يسلكون في ذلك خلاف هذه الطريقة لمعرفتهم انَّ الانتقاد الصحيح يفيدهم علماً ويساعدهم على تحسين العمل . ومصداقاً لما قلنـا نذكر في هذا المقام بعض عبارات كتاب ورد علينا من احد مشاهير علماء ايطالية كنا بيّنَّا في المشرق خطأً فرط منهُ قال:

Je ne saurais trop vous remercier des bonnes paroles que vous avez eues pour moi dans le Machriq á plusieurs reprises ; mais sur tout je désire vous remercier de votre observation..(ثم ذكر انتقادنا) Si dans l'avenir vous trouvez des erreurs dans mes publications, je vous prie de ne me les taire pas : je désire seulement apprendre.

لله درّهُ من قول عالم يعرف قدر الانتقاد ولا يطلب من تآليفهِ مدحاً باطلاً . هذا ونشكر لكاتب هذه الاسطر ما حرّرهُ في رسالتهِ بخصوص اعتبارهِ لمجلّة المشرق حقّق الله ظنّهُ فيها

ان اعمال البعثة العلمية الالمانية في بعلبك جارية مجرى النجاح وهي تنتظر ورود آلات ضخمة لمواصلة الحفر. اما ما اكتشفتهُ مذ مباشرة الشغل حتَّى اليوم فهو حوض ماء مربَّع الشكل قرب الهيكل الكبير يبلغ طولهُ ٩٠ مترًا في ٨٠ مترًا عرضًا. وعلى مقربة من الحوض وجدوا تمثال اسد بديع الصنع في داخلهِ ثقب كالانبوب فرجَّحوا بذلك انَّ المياه كانت تندفع من فيهِ الى الحوض. وممَّا توفَّقوا ايضًا الى اكتشافهِ بعض كتابات عربية بالحرف الكوفي يرتقي عهدها الى القرون المتوسّطة ومنها ايضًا نقوش وكتابات لاتينية ويونانية نطلع القرَّاء على مضمونها اذا ما تسنَّى لنا الوقوف عليها

✻ حلّ اللغز التاريخي الوارد في العدد السابق ✻ لم يأتنا من قرَّائنا حلّ هذا اللغز فنعرض عليهم ما سنح لنا فاذا وجدوا حلًّا افضل منهُ ذكرناهُ. (نقول) ان لفظة العقد تدلُّ في العربية على العشرات وفي اللغز المذكور (في الصفحة ٧٥٩) نظنّ انها تدلّ على الايام والشهور والسنين وعشرات السنين ومئات السنين والوف السنين. فقولهُ انَّ طَبْع الكتاب نجز «في اواسط العقد الثاني من العقد التاسع» اراد بهِ «اليوم الخامس عشر من شهر شوَّال». وقولهُ انَّهُ طُبع «في اواسط. العقد الثالث من العقد الاوَّل من العقد الرابع من العقد الثاني من الهجرة» اراد بهِ سنة ١٢٠٢ ه لانَّ نصف العقد الثاني هو الواحد يدلُّ على الالوف. ونصف العقد الرابع هو عدد اثنين يدلّ على المئات. ونصف الواحد صفر مع نقل العدد الى العقد الباقي اي الثلاثة فتصبح اربعة نصفها اثنان. فيكون معنى اللغز انَّ طبع الكتاب تمَّ في ١٥ شوَّال سنة ١٢٠٢. ولكن في هذا التاريخ غلط لان الكتاب قد طبع في سنة ١٣٠٢ من الهجرة في المطبعة الحُفْنيَّة في دمشق لا سنة ١٢٠٢ وعلى ظنّنا ان صاحب اللغز كتب «العقد الرابع» وهو يريد «العقد السادس» والله اعلم ل. ش

أسئلة وأجوبة

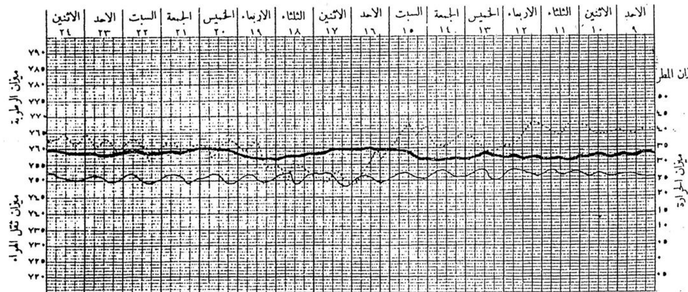
س سأل من حمص جناب الاديب رزق الله نعمة الله عبُّود ما نعلمهُ من اخبار مخائيل الطفي المذكور في المشرق (٢: ٦٩٢) واخبار هلال بن ابي هلال الحمصي (المشرق ٢: ١١٠٨)

مخائيل لطفي الحمصي وهلال بن ابي هلال الحمصي

ج لا نعلم من اخبار مخائيل لطفي غير ما كتبهُ في آخر تاريخ الجزَّار قال: «قد علَّقهُ بيده الفانية احقر الورى مخائيل لطفي الحمصي وقد تمَّت نهايتهُ في اليوم الخامس والعشرون (كذا) من شهر ايَّار من شهور سنة ١٨٢٨ للتجسُّد الالهي في مقام القسطنطينية المحروسة...» وجاء في مقدّمة الكتاب لهُ: «وقد رمتُ بهذا المختصر الذي انتخبتهُ من تواريخنا المجمَّعة من عدَّة تواريخ صادقة المحتوية (كذا) على جميع الحوادث الماضية من ابتداء ظهور الاسلام الى تاريخ الان»

امَّا هلال بن ابي هلال فهو احد الاطباء الذين نقلوا كتب اليونان الى العربية. قال في حقهِ ابن ابي اصيبعة (١: ٢٠٤): «كان صحيح النقل ولم يكن عندهُ فصاحة ولا بلاغة في اللفظ» اشتهر في ايَّام المأمون وخدم بين يدي احمد بن موسى الفلكيّ الشهير. ومن نقلهِ كتاب المخروطات لابلُّنيوس من برغا ل. ش

قائمة للآثار الجوية من ٩ الى ٢٤ ايلول ١٩٠٠



انَّ الخطَّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر—والخطَّ الرفيع المتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات